

النَّصْرُ مِنَ الْإِلَهِ وَالْإِلَهِ وَشَعْبِهِ
(الْحُرُوبُ الْأَشُورِيَّةُ أَمْوَدَجًا)

م.د. علي جبار عزيز الطائي
المديرية العامة لتربية واسط

أ.د. سعد عبود سمار
جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
sabbod@uowasit.edu.iq

الخلاصة

سلطت هذه الدراسة الضوء على توظيف الميثولوجيا في الحروب الآشورية . فتطرقت في الحديث عن (آلهة الحرب الآشورية)، إذ كان الملوك الآشوريين يصورون الحروب المستمرة التي يقودونها على أنها حروب إلهية مقدّسة ، محاولين إخفاء دوافعها الحقيقية، تُشن بأمر الآلهة ومن أجلها وبمباركتها. واستعرضنا أهم الآلهة التي وظّفها الملوك الآشوريين في حروبهم. وسيتناول أيضاً الحديث عن توظيف الميثولوجيا في جميع الأعمال العسكرية التي كانوا يقومون بها.

Victory from God and to God and His people
(Assyrian Wars are modeled)

Prof.Dr. Saad Abboud Sammar

Ali Jabbar Aziz Altaie

Wasit University / College of Education for Humanities

General Directorate of Education Wasit

Conclusion

This study highlighted the employment of mythology in the Assyrian Wars. The Assyrian kings portrayed the ongoing wars they lead as divine wars, trying to hide their true motives, waged by the gods and for their blessing. We reviewed the most important gods employed by the Assyrian kings in their wars. He will also discuss the use of mythology in all military actions they have been undertaking.

الكلمات المفتاحية: الحروب الآشورية، الآلهة، الميثولوجيا

المقدمة

ثمّة اعتقادات اشاعها الملوك الآشوريون حينما صوّروا الحروب المُستمرة التي كانوا يقودونها على أنّها حروب ذات طابع قُدسيّ، محاولين إخفاء دوافعها الحقيقية، واستطاعوا تسويق فكرة مفاده، (إنّ الحرب من أجل الآلهة، وبها يتحقق النصر)؛ لخداع ابناء شعبهم بما كانوا يسعون من أجله في تحقيق السّيطرة على الأقوام الأخرى والتوسع على حسابها؛ لذا وظّفوا الدّين ميثولوجياً في حملاتهم العسكريّة، لا سيّما كبار الآلهة التي تحمل من الصفات ما يُعبر عن القُوّة والقسوة، بأنّهم: أمروا، وأشاروا، وطلبوا من الملوك، قيادة تلك الحملات، ممّا انعكس ذلك وبشكل إيجابي بالتفاف الشعب حول قياداته ، وبالنتيجة تحقق للملوك ما أرادوا في سياستهم التوسعيّة على وفق شعارهم: " النصر من الإله وإلى الإله وشعبه".

وثيمة البحث تُثير تساؤلات عديدة، نكون بحاجة للإجابة عنها، وهي تُشكل فرضيات البحث، نضعها نصب أعيننا، للوصول لما هو مطلوب من توظيف الميثولوجيا في الحروب الآشورية، وأهم هذه التساؤلات: لماذا وُظف قسم من الآلهة توظيفاً عسكرياً دون أخرى؟ ولماذا، وكيف وظّفت هذه الآلهة؟ ماذا كان يتوخى الملوك من مُلازمة الميثولوجيا لخططهم العسكريّة وأهدافهم التوسعية؟ هل خُدع الشعب في مثل هذا التوظيف، في ضوء منظور فهمنا المعاصر للحدث التاريخي؟ هل نجح الملوك في وسائلهم، بتضليل شعوبهم وخداعها، أم على الضدّ من ذلك؟ هل كان الملوك برغماتيين في توظيفهم للميثولوجيا الدّينيّة في حروبهم؟ كيف تعامل الملوك مع أديان الشعوب التي قهروها؟ هذه التساؤلات نحاول الإجابة عنها في معرض حديثنا في هذا البحث، مدعومة بشواهد تاريخية وآثارية، لتأكيد صحة ما توصلنا إليه من عدمه.

عني هذا البحث بتوظيف الميثولوجيا في الحروب الآشورية ووسم بعنوان: النَّصْرُ مِنَ الْإِلَهِ وَإِلَى الْإِلَهِ وَشَعْبِهِ (الْحُرُوبُ الْآشُورِيَّةُ أُمَّوْدَجًا). وقد تضمنت بحثين، الأول: عنون بـ (آلهة الحرب الآشورية)، وتحدثنا فيه على أنّ الملوك الآشوريين أخذوا يصورون الحروب المُستمرة التي كانوا يقودونها على أنّها حروب ذات طابع قُدسيّ، محاولين إخفاء دوافعها الحقيقية، حينما برروا تلك الحروب على أنّها حروب إلهية مُقدّسة، تُشن بأمر الآلهة ومن أجلها وبمباركتها. واستعرض أهم الآلهة التي وظّفها الملوك الآشوريين في حروبهم. أما المبحث الثاني فكان عنوانه (توظيف الميثولوجيا في الحروب الآشورية)، وسنستعرض فيه توظيف الميثولوجيا في جميع الأعمال العسكريّة التي كانوا يقومون بها.

تمهيد:

إنَّ المتتبع للتاريخ الآشوري في الألف الثاني ق. م ، يلحظ أنَّ بلاد آشور تُعنى بالجانب الاقتصادي أكثر من عنايتها بالجوانب الأخرى ومنها العسكرية، وهذا الأمر نشأ؛ لأنَّ آشور مركزاً تجارياً، ولها العديد من المستعمرات الخارجية في مناطق مختلفة يصل بعضها إلى آسيا الصغرى، لذا فإنَّ العامل الاقتصادي (التجاري) ظل ملازماً لـ (آشور) حتَّى نهاية كيانها السياسي ٦١٢ ق. م ، وترك العامل التجاري بظلاله على الفكر السياسي الآشوري في تلك المدة أكثر من الجانب العسكري، بيد أنَّ هذا الفكر بدأ بالتغيّر عندما وجد الآشوريين أنفسهم تحت السّيطرة الميتانية لمدة خمسة قرون^(١). ومن ثمَّ الضغط الحثي عليهم في الجهات الشمالية والشمالية الغربية من بلادهم ، وزحف القبائل الآرامية وسيطرتها على الطرق التجارية الآشورية أدى ذلك إلى فقدان آشور لعنصر التجارة وأصبحت مشلولة، وبقت تحت رحمة تلك القبائل التي وصل زحفها حتَّى وصلت على مقربة من أبواب مدينة آشور^(٢)، عند ذلك أدرك الملوك الآشوريين أنَّ استقلال بلادهم والدفاع عن أمنهم القومي ينصب في دفع أخطار تلك الأقوام التي تهددهم^(٣)؛ وذلك بشنّ الحروب ضدَّهم مع تغير في مفهومها من الواقعي إلى إعطائها صفة القدسيّة، وصوّروها على أنَّها حروب بين الآلهة^(٤)، فضخموا بقدسيّة هذه الحروب؛ فوصلت لنا أخبارها مشحونة بمعتقدات مثيولوجية؛ ممَّا شكل حافزاً للمشاركة بتلك الحرب، وتبريراً لشنّها، لذا فإنَّ كفاح الشعب الآشوري وملكه كان يُمثّلان لهم كفاح الإله آشور من أجل السّيطرة على العالم، وإنَّ جميع الأعمال العسكريّة التي يقودها الملك الآشوري ضدَّ أعدائه إنّما هي تُمثّل إرضاءً للآلهة^(٥)، فكان الطابع القدسيّ الصفة الأبرز لها، وهذا واضحاً من كتابات الملوك الآشوريين حينما عزّوا تلك الحملات على أنّها كانت بأمر الإله آشور^(٦).

آلهة الحرب الآشورية

لقد تجلّى في الحملات العسكريّة الآشورية سمّة مميّزة تمثّلت بأنَّ الشعار الرسمي لتلك الحملات غُلف بإطار الدّين، إذ كانت أغلب الحملات هي تنفيذ لأوامر الآلهة بشكل عام والإله آشور بشكل خاص^(٧)، فلم تخلو الكتابات الملكيّة الآشوريّة من الإشارة إلى الآلهة التي كانت تساندهم وتساعدهم على الدوام ، ومنها نُصوص الملك (آشور بانينبال/آشور-بان-أبل/ ٦٦٨ - ٦٢٧ ق. م) ^(٨) بأنّه أخذ أوامر الهجوم على بلاد عيلام وملكها (تيومان) من الآلهة بقوله:

"في حملتي الخامسة توجهت إلى بلاد عيلام تنفيذاً لأمر الآلهة: آشور، سن، شمش، أدد، عشتار نينوى، عشتار إربل.... اكتسحت بلاد عيلام بأجمعها كالإعصار الهائج"^(٩).

ويقف الإله آشور في مقدمة الآلهة التي تضمنتها حوليات ملوكهم، بما يؤكد أن الطابع الميثولوجي في حربهم كانت بأمر الآلهة، فهي من تمدهم بالنصر؛ وذلك من أجل إضفاء القدسية على سياسة الآشوريين العسكرية، على وفق ما جسدهته الحكمة التي تنص: "حينما يتألق نجم قوم في سماء الحضارة، فإن إلههم القومي يتألق أيضاً"^(١٠). وهذا الأمر واضحاً بصورة جلية عند الأقوام الآشورية، فبعد أن برز الإله آشور في زمن سلالة أور الثالثة، وأقيمت له المعابد وأماكن العبادة في بلاد آشور، عاد إلى الظهور مرة أخرى وبشكل أوضح من سابقه في العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق. م؛ وذلك لما عُرف عن الآشوريين من قوة سياسية وعسكرية في هذه المدة، الأمر الذي دفعهم إلى تضخيم دور إلههم القومي آشور على حساب الآلهة الأخرى في العراق القديم ومنها الإله مردوخ كبير آلهة بابل، فقد أسند للإله آشور دور البطولة في قصة الخليفة الآشورية، وقام بقتل الإلهة التي ترمز للشر (تيامت)، ومن ثم خلق الكون والبشر، لذا عدّوه الآشوريين أبو الآلهة ومقرر مصير الكون^(١١)، ويحمل هذا الإله من الصفات والرموز ممّا جعله في مصافي الآلهة ذات الطابع العسكري، إذ إن أحد رموزه يوحي بالنزعة العسكرية الصرفة، فيصوّر هذا الإله في دائرة مجنحة وهو يحاول أن يرمي سهماً من قوسه على أعدائه^(١٢)، الأمر الذي يدل على أن تلك الدائرة المجنحة التي تحمل في جميع جوانبها الأشعة المتموجة التي تعود في أساسها إلى الإله شمش، وقد اكتسبها الإله آشور منه، وغدت هذه السمة رمزاً للقوة والبأس للآشوريين، وحضور إلههم القومي بنحو فعال للحرب وعسكرة المجتمع من أجل تحقيق مكتسباتهم القومية؛ لأن إلههم القومي آشور يتسم بالقوة والعظمة في القتال.



الإله آشور

فضلاً عن إلههم القومي آشور نمة آلهة أخرى وظفها الآشوريون في ميثو حروبهم إلى جانب الإله آشور هي: (أنو، إنليل، وإنكي، وأدد، وشمش، ونابو، وعشتار)، وتنتسب هذه الآلهة إلى الأقوام التي سبقتهم في العراق القديم من السومريين والاكديين والبابليين، فقد كانت تلك الآلهة تضم الآلهة الرئيسية في البانثيون (مجمع الآلهة)، التي كان في مقدمتها الإله آن / أنو إله السماء الذي يحتل مرتبة الصدارة في مجمع الآلهة ويسمى أبو الآلهة^(١٣)، ويُعدّ النّمُودج الأول للملوكية التي كان مصدرها في السماء أولاً ثم أصبحت في الأرض ثانياً ، لذا فإنّ أوامره إلى الملوك هي أوامر واجبة التنفيذ والطاعة، فضلاً عن كونه يُمثّل السُلطة في المجتمع^(١٤)، لذلك استمد الملوك الآشوريين شرعيتهم من هذا الإله، وكان دافعاً لهم في الحكم، يضاف إلى أنّ قراراتهم وأوامرهم التي يستمدونها من السماء كانت مصدر رهبة للإنسان، فكان الأخير عندما يرى السماء ينتابه شعور بالرفعة، ممّا يحيط به من كل صوب، فكان ذا رهبة وتقديس، فضلاً عن الإحساس بالجلال تجاهه؛ لذلك عبر العراقي القديم عنه بالقول: "إله مهيب كالسموات النائية واليم العريض"^(١٥).

أمّا الإله الثاني الذي وظّف في ميثو الحروب الآشورية، فهو (إنليل) الذي يُمثّل قوّة من نوع آخر، ويمكن أن نستدل على تلك القوّة من اسمه "ان-ليل"، الذي يعني "سيدّ الهواء أو العواصف"، لذلك فهو سيّد المنطقة المحصورة بين السماء والأرض بلا منازع ، فهو يكشف عن اسمه من صفاته التي يتصف بها مثل البطش والقسوة والتتكيل، ومن يخالف أوامر هذا الإله وإرادته يُسحق، ويكون مُكرّها على الخضوع لإرادته، وعلى الجميع أن يقبلوا سلطته وإرادته طائعين، لذلك فهو يُمثّل القوّة المشروعة للسُلطة فضلاً عن قيامه بقيادة الآلهة في الحروب^(١٦)، فاستعان الملوك الآشوريين بصفات هذا الإله من قوّة وقسوة في تعاملهم مع أعدائهم فضلاً عن شرعيّته في تنفيذ مراسيم مجمع الآلهة وقراراتها في السماء، لينفذوها على الواقع في الأرض، وقد وظّف الآشوريين هذا الإله في داخل آشور وخارجها وهذا الأمر يمكن الاستدلال عليه من إشارة الملك (سرجون الثاني / شرو-كين الثاني ٧٢١-٧٠٥ ق.م)، عند قيامه بانقلاب ضدّ الملك (شلمنصر الخامس/ شلمان - أشريد الخامس ٧٢٦-٧٢٢ ق.م) بقيام الإله إنليل بواجبه بتدمير عرش الملك الذي جعل من سكان مدينة آشور عبداً له، وفرض عليهم الجزية واعمال السخرة ، إذ جاء في النص: "شلمنصر الذي لم يوقر ويحترم ملك الكون، سيطر على تلك المدينة، وسبب لها صعوبات، وفرض عليهم السخرة والعمل الصعب... وفي ذلك فإنّ الإله إنليل وبغضبه دمرّ عرشه..."^(١٧)

أما الإله الثالث الذي استعان به الملوك الآشوريين في تبرير أعمالهم العسكرية، فهو إنكي/ آيا ، الذي يُمثّل الماء الواهب للحياة، وأن تعددت مصادره سواء الأرضية منها مثل الينابيع والآبار والأنهار أم السماوية منها مثل الأمطار، إذ يُمثّل الماء القوّة الفاعلة والفكر الواعي للخلق، فهو لا يعلّ العوائق بل يتجنبها، ويأخذ في الدوران في اتجاهات أخرى حتّى يبلغ هدفه؛ لذا كانت من صفاته الخديعة والمهارة والذكاء، فضلاً عمّا يتمتع به الماء من عمق فكري وحكمة ومعرفة إلى جانب كونه عنصر الخلق^(١٨)، فعليه أهتم الآشوريون في أدعتهم بهذا الإله لما يُمثّله من الصفات الواردة الذكر .

وعُدّ إله القمر (نانا/ سين) من الآلهة التي حصّت باهتمام عديد من الأقوام في العراق القديم وما يجاورها، فهو يُمثّل النور الذي يضيء السماء في الليل، وقد اشتهر هذا الإله بالحكمة فضلاً عن اشتراكه مع الإله اوتو / شمش بشؤون العدالة، وكان عدواً لمرتكبي الشرور، لذا كانت من الحوادث التي تبعث على التشاؤم لدى العراقيين القدماء ما يصيب القمر من خسوف، لذلك سعوا إلى التخلص من ذلك التشاؤم بالصلاة وتقديم القرابين، التي كانوا في اعتقادهم تعمل على إرجاع القمر إلى حالته الاعتيادية^(١٩)، وعُدّ الإله نانا/ سين إله الخصوبة والتكاثر للإنسان والحيوان في العراق القديم^(٢٠) .

أما الإله اوتو / شمش ، فهو إله الشمس والإنصاف والمعاملات العادلة ، إذ كان يُعدّ إلهاً قاضياً ينظر في دعاوى طول النهار^(٢١)، وفي الليل يعبر للعالم الأسفل ليقضي هناك^(٢٢)، وتذكر النصوص المسمارية إنّ هذا الإله يحتل مركز خطير في مجمع الآلهة كونه (قاضي قضاة الآلهة، والقاضي السامي للآلهة العظيمة)^(٢٣)، ويظهر هذا الإله في النقوش بشكل أشعة ذات لهيب ينبعث من كتفي الإله، ويحمل في يده المنشار المُسنن ليقطع به أحكامه العادلة^(٢٤) .

أما الإله الذي احتل مكانة مرموقة لدى الأقوام الآشورية والبابلية في الألف الثاني ق.م ، هو الإله أدد، إله البرق والعواصف والفيضانات، كونه الإله المسيطر على بوابات الفيضان في السماء والأرض، وعُدّ من بين الآلهة العظام في بلاد آشور^(٢٥)، ولعلّ العظّمة تلك تكمن في صفات هذا الإله .

أما الإله نركال الذي يعني اسمه (سلطة المدينة الكبيرة)، فهو إله العالم الأسفل أي إله عالم الأموات وربّ الأمراض والمعارك الدموية، إذ كان الإله (أنو/ أن) يعتمد عليه في محاسبة ومعاينة المدن الثائرة على أحكام السماء الصادرة^(٢٦)، ولعلّ الصفات التي أمتاز بها هذا الإله جعل الأقوام تحسب له حساباً؛ لأنّه من الآلهة المدّمة فضلاً عن كونه كبير آلهة العالم الأسفل الذي طالما كان

ينظر إليه بخوف وريبة، ولهذا وظّفه الملوك الآشوريين بجانب الإله آشور في الانتقام من اعدائهم وهذا الامر يمكن الاستدلال عليه عبر اشارة الملك (آشور ناصر بال الثاني / آشور - ناصر - ايل الثاني ٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) عندما واجه الاقوام الساكنة في منطقة زامو(شرق سهل شهرزور) كونها كانت تعترض الطرق التجارية الآشورية من الشرق ، ولهذا كان الإله نركال وبمساعدة الإله آشور، يتم للملك تجهيز تلك الحملة التي تحدث عنها بالقول: "بمساعدة الإله آشور وقائدي الإله نركال ... جهزت جيوشي..."^(٢٧).

وظهر اسم الإله مردوخ في الكتابات الملكية، بعد أن لمع نجم هذا الإله في الألف الثاني ق.م، مع ارتفاع مكانة مدينة بابل السياسية تحديداً في العصر البابلي القديم^(٢٨). وصوّر الإله مردوخ في قصة الخليفة البابلية المنقذ للآلهة وبطلها، بعد انتصاره على الإلهة تيامت، بعدما مُنح سلطة مُطلقة، التزمت بها جميع القوى الإلهية، وهذا ما هتفت به الآلهة إلى مردوخ، بقولها: "كلمتك هي أنو"^(٢٩). واستمرت سيادة الإله مردوخ على طول حقبة الألف الثاني ق.م، لذلك لم يحاول الآشوريين إهمال دور الإله مردوخ أو تهميشه ، بل انتفعوا من صفات هذا الإله، لا سيما العسكرية، المُمثلة: بالبطولة والاقدام، ومنحوها إلى إلههم آشور، إلى جانب ذكر الإله مردوخ في كتاباتهم الملكية من أجل تدعيم الجانب الحربي لهم بمشاركة هذا الإله في حروبهم ذات السمة المُقدّسة، ولكن في مرتبة أدنى من الإله آشور، وهذا الأمر نابعاً من سيادة الآشوريين السياسية على منطقة الشرق القديم، وهذا الامر يتضح بنحو جلي في الحملة التي قادها أحد التورنتات في زمن الملك شلمنصر الثالث في عام ٨٢٨ ق.م عند مواجهة الاقوام الساكنة في مقاطعة نائيري في الجزء الشمالي من بلاد آشور جاء بقوله: "بمساعدة الإله آشور ومردوخ قهرتهم ، وقد ترك السكان مدنهم وصعدوا إلى قمم الجبال وقد دمرت مدنهم واحرقتها"^(٣٠).

أمّا الإله نابو فهو ابن الإله مردوخ، وقد شارك أباه بصورة جزئية في صفاته والقابه، ومعنى كلمة نابو في اللغة الاكدية (اللامح)، واختص هذا الإله بالكتابة والنسخ، والحكمة، ويُنسب إليه أيضاً صفة مميزة إذ يُعرف بأنه "صاحب ومُسير المصائر"^(٣١). وتتجلى أهميته، كونه المنقذ لأبيه مردوخ، هذا ما تردد في أعياد رأس السنة الجديدة (الاكتيو)^(٣٢) من كُلّ عام^(٣٣) ؛ ولذلك أنّ الإشارة إلى هذا الإله من قبل الملوك الآشوريين تحمل أكثر من محمل، لما يتصف به هذا الإله من صفات البطولة والإنقاذ في الاوقات الحرجة، وهذا ما كان يتجلى في أعياد رأس السنة هذا من جانب، ومن جانب آخر، كونه حافظاً لفن الكتابة والنسخ، وهذا الأمر اعتمده الآشوريين في تدوين حملاتهم العسكرية، لذا

يمكن توصيف تلك الكتابات الملكية، بأنها مُسددة من قبل الإله الراعي والحامي لها، وقد ظهر بشكل واضح في كتابات الملك الآشوري (ادد نيراري الثالث - ٨١٠ - ٧٨٣ ق.م)^(٣٤)، ولم تكن عملية التدوين تقتصر على مهام هذا الإله فحسب، بل أنه أسهم وبجانب الإله آشور في نجاح العمليات العسكرية ضد أعداء المملكة، وهذا الأمر أشار إليه الملك (اسر حدون/ اشور-أخ-إدينا (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) في إحدى حملاته التي جاء فيها ما نصه: "بعون الإله آشور .. وبمعونة الإله نابو ...".^(٣٥)

وشغلت الإلهة عشتار مركزاً متميزاً من بين الآلهة في العراق القديم، ولا سيما في العصر الآشوري الحديث، فبعد أن كانت تُسمى عند السومريين (إنانا) التي تُمثل إلهة الحب والجمال والجنس، أخذت عند الجزريين تحمل صفات أخرى إلى جانب الصفات الواردة الذكر إلا أنها بعيدة عنها، والمتمثلة بكونها إلهة الحرب، إذ لُقبَت بعدة ألقاب منها سيّدة الحرب، وسيّدة المعركة^(٣٦)، وهذه الصفات أدت دوراً مؤثراً في العصر الآشوري الحديث، كونها وُضفت في المعارك العسكرية الآشورية ضد أعدائهم، فكانت تتقدم الجند، وتقاتل أعداء الملك الآشوري، وقد بلغت هذه الآلهة من الأهمية في بلاد آشور بأن جعل لها معابد في المراكز الرئيسية في البلاد، ومنها في نينوى وأربيل حتى عُرفت في النُصوص المسمارية بـ (عشتار نينوى وعشتار أربيل)^(٣٧)، وهذا ما أشارت إليه النُصوص الملكية الآشورية، على سبيل المثال: ما أشار إليه الملك آشور-باني-ابل، بأنه أخذ أوامر الهجوم على بلاد عيلام وملكها تيومان من عده آلهة، بينهم الإلهة عشتار نينوى، وعشتار أربيل، بحسب ما ذكره النص الملكي بالقول: "في حملتي الخامسة، توجهت إلى بلاد عيلام تنفيذاً لأوامر الآلهة: آشور، سن، شمش، أدد، عشتار نينوى، عشتار أربيل... اكتسحت بلاد عيلام بأجمعها، كالإعصار الهائج"^(٣٨).

توظيف الميثولوجيا في الحروب الآشورية

كانت دوافع الآشوريين لحملاتهم العسكرية في باطنها تحقيق الرفاهية والأمن والاستقرار لرعاياهم، وفي ظاهرها تنفيذ لرغبات آلهتهم القومية وأوامرها بما توحيه إليهم بشئى الطرق. وهذا ما لا تخلوا منه كتاباتهم التي وثّقوا بها انتصاراتهم العسكرية، حتى وصل بهم الأمر إلى تدوين تفصيلات تلك الحملات العسكرية على شكل تقارير أو رسائل موجهة إلى إلههم القومي، آشور^(٣٩). فكان الآشوريون يتضرعون إلى آلهتهم، لتمنحهم النصر على أعدائهم، هذا ما أطلعنا عليه (شيلمنصر الاول/ شلمان - أشريد الأول ١٢٧٢-١٢٤٥ ق.م) قائلاً: "في بداية حكمي، تمردت بلاد اورارتو،

فرغت يدي تضرعاً إلى الإله آشور سيدي والآلهة العظام، وحركت جيوشي، وذهبت ضدّ حصونهم الجبلية القوية، وقهرت ثماني بلدان بقواتها... وفتحت وأحرقت إحدى وخمسين مدينة، وأخذت ممتلكاتها غنائم، وأخضعت جميع بلاد اورارتو في مدة ثلاثة أيام^(٤٠).

إنّ توظيف الميثولوجيا الدينية التي اعتمدها الملوك الآشوريين لتبرير حملاتهم العسكرية هي مكملة للدوافع الأخرى، معتقدين أنّ أيّ عمل سياسي أو اقتصادي مُعادي للدولة الآشورية هو اعتداء على الآلهة التي تأمر برد هذا الاعتداء. الأمر الذي دفع الملوك الآشوريين بالرد سريعاً؛ خوفاً من غضب الآلهة عليهم، وهذا ما طالعتنا به الكتابات والنصوص المسمارية الملكية الآشورية للحملات العسكرية بما يؤكد الطابع المقدّس للحملات العسكرية، وتسجل موافقة الآلهة على شنّ حملات عسكرية قام بها الملوك تنفيذاً لأوامرها بعد أن تُقدم لهم الدّعْم والمساندة، فهذا (شمشي-أدد الأول / ١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م)، يوسع مملكته بعد أن يوطد حكمه في بلاد آشور^(٤١)، ويقوم بشنّ حملات عسكرية بعد أن يأخذ موافقة الآلهة وأوامرها، ويُقدم الأضاحي والقرابين لها، لأنّها أرزته ونصرته على أعدائه، هذا ما تضمّنه قوله: "... [بأ]مر الإله أنليل و (... هجومي في (أرابخا)..... دخلت حصنه وقبلت أقدام سيدي الإله أدد، وأعدت تنظيم تلك البلاد، وعينت الحكام في كل مكان وفي أرابخا نفسها، وقدمت الأضاحي... إلى شمش وأدد"^(٤٢).

ولم يكتفِ الملوك الآشوريون بالإشارة إلى أنّ حملاتهم العسكرية كانت بأمر من إله مُحدد، بلّ ذكروا آلهة عديدة دعّمت تلك الحملات، الأمر الذي أكسبها القدسيّة، لمباركة الآلهة لها، ومدّها بالسلاح الإلهي الفاعل، هذا ما سجّله لنا الملك (إدد-نراري الأول / ١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م) في هجومه على ترمرد بلاد خانيكليات بقوله: "بالأسلحة القوية لسيدي الإله آشور، وبعون الآلهة أنو، وإنليل، وإيا، وسن، وشمش، وأدد، وعشتار، ونركال الأقوى بين الآلهة سادتي"^(٤٣). ويتجلّى الدّعْم الميثولوجي أيضاً من وصف الملك (شلمنصر الثالث / شلمان-أشريد الثالث ٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) في حويلياته عن سير إحدى حملاته، وكيف مدّه الإله آشور بسيفه، الذي مكنه من تحطيم الأعداء، بما نصه: "... لخاني ملك سمأل، وسوبالوم الحثي وسنكارا ملك كركميش وأخولي حاكم بيت اديني، وضعوا ثقتهم بأسلحتهم واستعدوا للحرب، وجاءوا لمقاتلتي... بالأسلحة الصارمة التي أعطاني إياها مولاي آشور، قاتلتهم، وهزمتهم، وذبحت مقاتليهم بالسيف، وحطمتهم كالفيضان...، ودمرت مدنهم واحرقتها...، واقمت تمثالاً لنفسي أمام منبع نهر سالوارا عند قمة جبل الأمانوس..."^(٤٤).

ويتجلى الدعم الميثولوجي أيضاً من قبل الإله آشور للملك (آشور - ناصر - ايل الثاني)، بدعائه أن الإله آشور ناداه باسمه، وسلّمه سلاحه الفتاك مع الأسلحة الإلهية الأخرى التي رافقته في حملته، وهو في قتاله للأعداء، هذا ما سجّله لنا هذا الملك بقوله : "عندما ناداني الإله العظيم آشور باسمي... وجعل سلطاني فوق سلطان ملوك الجهات الأربعة، واسمي العظيم فوق كل شيء، بوضع سلاحه الفتاك الذي لا يعرف الرحمة بين اسلحتي الإلهية، وأمرني بأن أحكم واخضع وأسيطر على الأراضي العليا المنيعه، وبمساعدة ودعم آشور إلهي، استمررت بالزحف عبر المسالك الصعبة والشاقة والجبال الوعرة، ترافقني حشود قواتي، ولم يكن هناك خصم يواجهنني..."^(٤٥).

وجرى الحال نفسه مع حملات الملك (تجلاتلوزر الاول / توكلتي-آبل-ايشر الأول ١١١٥ - ١٠٧٧ ق م) في تقدمه إلى جبال لبنان، إذ كان بأمر من آلهة عديدة، مبرراً حملته التوسعية واسبابها الاقتصادية بداعي الحصول على الاخشاب لمعابد الآلهة، إذ يقول في كتاباته: "بأمر من الآلهة أنو وأدد، الآلهة العظيمة (سادتي)، تقدمت إلى جبال لبنان، وقمت بقطع أشجار الأرز، وحملتها إلى معبد الآلهة أنو وأدد وآلهتي العظيمة..."^(٤٦).

وبأمر الآلهة (آشور، وشمش) قاد الملك (شرو-كين الثاني) في السنة الأولى من حكمه، حملة عسكرية، اخضع بها السامرة، وقضى على التمرد هناك ، واستلم الاتاوات، بعد أن كانت تشكل بتمردتها تهديداً للوجود الآشوري وتحدياً له، وتشكيلها تحالفات سياسية بمساندة مصر، بحسب ما جاء في حويلياته بالقول: "بأمر الإله آشور وشمش الذين آزراني في تحقيق النصر من السامريين، نقلت ٢٧,٢٩٠ نسمة من اولئك الذين عاشوا في ذلك المكان، [والمدينة التي أعدت بناءها] جعلتها أعظم ممّا كانت عليه في السابق، أما الناس الساكنون في تلك الأراضي فقد استولت عليهم يدي، وحررتهم، ونصبت عليهم موظفاً بصفة حاكم ثم فرضت عليهم الاتاوات والضرائب، كما فرضتها على الآشوريين، وجعلتهم سويةً..."^(٤٧).

وتزيدنا الشواهد التاريخية بما يُدعم توظيف الآشوريين للميثولوجية الدينية في حروبهم، بأنّها بأمر الإله آشور، هذا ما أعلنه الملك (اشور-أخ-إدينا) في حملته ضدّ مصر، فالتقى بجيش طهرقا، وأوقع به الهزيمة في معركة اشخيري التي قال عنها : "بأمر الإله آشور... من مدينة اشخيري حتى ممفيس.... خضت يوماً معارك عنيفة جداً ضدّ طهرقا ملك مصر واثيوبيا... ثم حاصرت ممفيس وفتحتها.... وأبعدت كلّ الأثيوبيين من أرض مصر..."^(٤٨).

ويُعد الملك (سنحاريب / سين - آخي - أربيا ٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) الآلهة التي وقفت إلى جانبه في قتاله ضدَّ العيلاميين ، بقوله^(٤٩): "... توجَّهت إلى (آشور، سن، شاماش، بيل، نابو، نيرغال، عشتار في نينوى عشتار في اربلا) الآلهة الذين أتق بهم، صليث؛ لأحرز النصر على عدوي، وسرعان ما استجابوا لدعائي، وقدموا لمساعدتي". ومن ثمَّ يُعد أنواع الدغم المادي الذي تلقاه من الآلهة في وصفه للحرب بقوله: "زأرت كالأسد ووضعت درعي وخونتي، رمز النصر في القتال، ورفعت رأسي، وصعدت عربة القتال التي سحقت العدو. واسرعت في حالة من الغضب، وأمسكت بيدي القوس الذي أعطاه آشور لي، وأمسكت الرمح ووجهته ضدَّ صفوف الأعداء". وذهب في توصيفه لهجومه باستعاراته للقدرات الإلهية، فشبّه هجومه بزئير الإله آدد: "وزأرت مثل أداد" أي مثل الصاعقة، "وبتوكل على كلمة آشور إلهي وسيدي، هجمت على جوانب ومقدمة جيش العدو مثل العاصفة بمساعدة من آشور إلهي ، وتمكنت في بداية هجومي من إيقاف تقدمهم ومحاصرتهم ..."، وهنا أوحى لجنده أن وظائف الآلهة وصفاتها مُنحت له، وهو في قتاله لجند الأعداء.

يتضح ممَّا تقدّم أنه حينما يعلن الملك الآشوري نداء الحرب على أيّ بلد كان، فإنّه يفعل ذلك، امتثالاً لأوامر الآلهة وطاعة لها؛ لأنّ قرار الحرب المُعلن من قبل الملك إنّما هو قرار الآلهة، إذ يتخذ بصيغة الأمر الإلهي، الذي يُعبّر عنه الملك على أنّها إرادة إلهية تُعلن غالباً في ديباجة سجل تلك الحروب والمعارك^(٥٠). وكان الجانب التحضيري والإعداد العسكري للمعركة، يرافقه تحضيراً وإعداداً نفسياً للجند؛ لخوض غمار المعارك بمختلف الأساليب والوسائل، منها ادعاء الأصل المقدّس لتلك المعارك، وأنّها تُعدّ نزولاً لرغبات الآلهة، لأنّ لها السُلطة الشرعية لإعلان الحرب، وأنّ النصر لا يتحقق على أعدائهم إلا بفضل دعم الآلهة لهم، وقد عبّر الملك (آشور - بان - ابل) عن ذلك بقوله: "ليس عن طريق قوّة قوسي، وإنّما عن طريق قوّة آلهتي واقنذار آلهتي ، كنت قد قهرت أعدائي"^(٥١).

وبما أنّ العلاقة بين الملك والآلهة علاقة مترابطة متواصلة بتواصل الملك مع الآلهة التي يقوم بإرضائها بتقديم فروض الطاعة لها، وتقديمه للقربان والنذور، فضلاً عن بناء المعابد للآلهة ، وبالنتيجة فإنّ الآلهة، كانت تقف بجانب نائبها، وتحضره في جميع الأوقات ولاسيّما الحرجة منها، وتقف بجانبه سواء أكان في السلم أم الحرب ، وتستجيب لرغباته وطلباته^(٥٢)، وذلك يُعدّ من المعتقدات الأساسية عند الملوك الآشوريين، ويعترف الملك (سين - آخي - أربيا)، بأنّ العيلاميين

سَدُوا عليه الطَّرِيقَ، وعندئذٍ راح يدعو الآلهة: سين، وشمش، وبيل، ونابو، ونركال، وعشتار؛ لنصره على أعدائه، إذ أشار بقوله: "لقد استجابت الآلهة لدعائي، فجاءت مُسرعة لعوني، وعندئذٍ انقضضت على أعدائي كالأسد الهصور.." (٥٣).

ونصت كتابات الملوك الآشوريين على إشاراتٍ صريحةٍ لدعم الآلهة لهم في حروبهم ضد أعدائهم ومناوئيم، إذ يرد في نص للملك (ادد - نيراري الثاني) بما نصه: "آدد - نيراري (الثاني)، الملك القوي، الملك المُعظم، ملك آشور، ملك الجهات الأربع، ملك الكون.....، الذي اختاره الإله آشور، الذي يعمل بدعم الإله نينورتا، والآلهة العظام أسياده، الملك النبه الذكي، الذي تمكن من أن يدحر الأعداء" (٥٤).

وكانت الآلهة تُوكل مهمة الحرب من أجلها إلى نوابها الملوك الذين تختارهم لهذه المهمة، على سبيل المثال: أوكلت مهمة الحرب إلى الملك (توكلتي - نينورتا الثاني/ ٨٩٠-٨٨٤ ق.م)، الذي اخبرنا عن هذه المهمة التي أوكلت إليه، وهي (استيلائه على مدينة لاقِي) وقد دونها في نصب، محفوظ الآن في متحف حلب جاء فيه: "حدد الإله القادر، ملك آشور، الذي يُحطم قرن الثعبان الضار، الملك الذي يُنزّل الهزيمة، الذي يسحق مدينة لاقِي، الذي يُنقذ إله الوجود، حاكم الأرض، البطل المغوار في المعركة، توكلتي - نينورتا ابنه المُحنك - قام مستمداً من أبيه التخريب، فأولاه خدمة عشتار التي هي أساس الآلهة" (٥٥).

وكانت الآلهة لا تتفك عن مصاحبة الملك في ساحات القتال والمحاربة إلى جانبه وتقديم الدعم له (٥٦)، هذا ما جاء في نص للملك (آشور - بان - ابل) في حربه ضد بلاد عيلام سنة (٦٤٥ ق.م) بقوله: "إنَّ آشور وعشتار الذين هما دوماً بجانبِي، وكالعقد يحيطان برقبة شعبي، نزعا قلب المتمرّد الشرير تماريتو وأزالته عن عرشه" (٥٧).

وقد أشار الملوك الآشوريون إلى الادعاء بتجلي الآلهة لهم لتقوم بطمأنتهم، والإشارة إليهم بالنصر على أعدائهم، الأمر الذي ساهم إلى حد كبير في تشجيع الجنود على القتال، هذا ما أشارت إليه الرسالة المُقدّمة إلى الملك (آشور - أخ - ادينا) من الإلهة عقب اغتيال والدة (سين - آخي - أربيا)، لتشجيع الجنود التابعين له ليقوموا بالنزود عن ملكهم الجديد، الذي هو مُسدّد ومُؤيّد من الآلهة؛ وزرع الخوف في قلوب جنود أعدائهم، ونجد مضامين ذلك الادعاء في نص من الرسالة الآتية: "سَرَّ وَلَا تَتَرَاَجَعْ، فَحَنْ نَسِيرُ إِلَى جَانِبِكَ، وَسَوْفَ نُدْبِحُ أَعْدَائِكَ" (٥٨). ممّا تقدم يتبين أنّ الفرد الآشوري

عندما يجد أن الآلهة تقف بجانبه، وأن دعواته لهم تكون مُستجابة، فإن ذلك يسهم في رفع معنويات الجُند في ساحات القتال .

وشاع الملوك تصور ميثولوجي مفاده أن الآلهة تمنح الملوك أسلحتها في رمزية للقوة الإلهية التي تحضر المعارك؛ لرفع معنويات الجند وعزيمتهم، وأشعارهم أن الآلهة تُقدّم الدعم المادي أيضاً، فيحدثنا الملك (شلمنصر الثالث ٨٥٩ - ٨٢٤ ق.م) عن قتاله للحلف الذي عُقد بين الممالك السورية ضده بالقول: "قاتلتهم بأسلحتي الصارمة، وذبحت مقاتليهم بالسيف الذي اعطاني إياه مولاي آشور، وكالفيضان حطمتهم" (٥٩).

وكان الملوك الآشوريين يفتخرون بانتصاراتهم ويوثقونها سواء في كتاباتهم أم في مشاهد ونصب فنية يخلدون فيها ذكرى النصر الذي منحهم إياه إلههم القومي، بدلالة ما قام به الملك الآشوري شلمنصر الثالث بوضع نصباً في منطقة (نائيري) أخبرنا عنه بقوله: "أقمت لنفسي نصباً، خلدت فيه مجد مولاي المُعظم آشور، وبسالتي وقوتي" (٦٠).

ولم يكتفِ الملوك الآشوريين بوضع نصب تماثيلهم، وإنما كانوا يقيمون نصباً لتمثال إلههم القومي في البلدان المُسيطر عليها؛ دلالة على أن انتصارهم هو انتصار لإلههم، وأخذ النصر أبعد مدياته الميثولوجية بفرض إلههم آشور على المدينة المُسيطر عليها، ليكون إلههم، بدلاً من إلههم المهزوم في المعركة، والأدل على ذلك حينما نصبوا تمثال الإله آشور في قصر حاكم المدينة، وهذا يعني نصب إلههم المنتصر واحلاله محل الإله المهزوم الذي خذل مدينته، فضلاً عن تمدد سيادة الإله آشور، وهذا ما أخبرنا به الملك (تجياتبليزر الثالث/ توكلتي-ابل-ايشر الثالث ٦٤٥-٧٢٧ ق.م) في نص عُثر عليه في قصره يتحدث عن انتصاره على حاكم مدينة غزة جاء فيه: "هرب هانونو حاكم غزة من أمام جيشي إلى مصر، ودخلت غزة فوضعت تمثال إلهي في قصره، وعلنته إلهاً لبلاده، وفرضت عليهم الإتاوات" (٦١).

ومن شواهد تخليد انتصاراتهم في مشاهد فنية، هي مسلة من الحجر التي عُثر عليها في إيران، من المرجح أن الملك الآشوري تجياتبليزر الثالث قد نصبها في جبال زاكروس ذكر فيها انتصاراته مصحوبة برموز آلهته، جاء فيها ما نصه: "نصبت مسلة على الجبل، نُحت عليها رموز الآلهة العظيمة، أسيادي، وعلى رأسهم سيدي الأعلى آشور، وذكرت منجزاتي كلها التي فُمت بها في جميع البلاد" (٦٢).

واعترافاً بفضل الآلهة في تحقيق النصر، قدّم الملوك الآشوريين القرابين للآلهة مصحوبة بطقس كثير ما يتكرر هو غسل الأسلحة بماء البحر بعد كل نصر يحققونه، ربّما اعتقاداً منهم أنّ المياه هي في الأصل إله يُظهر أسلحة الملوك من دنس دماء الأعداء، فنقرأ في حوليات الملك آشور - ناصر بال الثاني تفصيلات ذلك ما نصه: "في ذلك الوقت كُنْتُ في طريقي إلى منحدرات جبل لبنان (و) ذهبت إلى البحر العظيم في أرض أمورو، نظفت أسلحتي في البحر العظيم، وقدمت الأضاحي إلى الآلهة"^(٦٣).

وكذلك ما قام به الملك الآشوري شلمنصر الثالث بعد انتصاره على حاكم اورارتو في مدينة سكونيا، هذا ما اطلعنا عليه في حولياته قائلاً: "عندما انتقلت إلى مدينة سكونيا، ذهبت إلى أسفل البحر في نائيري. وغسلت أسلحتي بماء البحر، وقدمت الأضاحي إلى آلهتي"^(٦٤).

واعترافاً بفضل الإله على الملوك الآشوريين بتحقيق النصر، واعزاء النصر إلى إلههم القومي، والرفع من شأنه عند الأقوام الأخرى، عمدوا على تغيير أسماء المدن المهزومة، بأسماء جديدة يدخل في تركيبها اسم الإله آشور، هذا ما يُطلعنا به النصّ الذي ورد في كتابات الملك آشور - ناصربال الثاني، جاء فيه: "أمرتهم بعمل نُصب لي، دُونت عليه كلمات الثناء بقوّتي، وأقمته في جبل (إيقو equo) في المدينة التي أسميتها، (آشور - ناصر - ابلي) مدينة (آشور ناصر بال) الثاني عند منبع النهر"^(٦٥). وعلى الرغم أنّ النصّ لم يُلمح إلى اسم المدينة إلا أنّه من الراجح أن تكون نيشون، عاصمة إقليم خابخو في أثناء حملته عليها.

وُطّلع تقليد جديد من قبل بعض الملوك الآشوريين في احتفائهم بالنصر، وذلك بقيامهم بإداء مراسيم الزيارة الدنيئة لمعابد الآلهة في المناطق التي تمّ قمع التمردات فيها، وتقديم فروض الطاعة لتلك الآلهة؛ لاسترضاء عابديها وكسب ولائهم وودهم، وأشعارهم أنّ هذا النصر كان من خلفه توجيه آلهتهم ورضاهما، لقمع المتمرّد، ويكشف لنا قول الملك شلمنصر الثالث عن طقوس هذه الزيارة الدنيئة بعد قضائه على تمرّد مردوخ - بيل - اوساته واتباعه، بما نصه: "شلمنصر، ملك آشور، سار بابل، وصل كوئا، مدينة بطل الآلهة، والإله العظيم، أوتولو. انحنى بتواضع أمام بوابة المعبد، وقدم التّضحيات"^(٦٦). ويضيف لنا شاهد آخر في قول الملك نفسه بما يؤكّد كسب ودّ هذه الشُّعوب دنيئاً، بداعي احترام معتقداتهم، لضمان استقرارهم وعدم التمرّد ثانية: "لشعب بابل وبورسيبا، شعبه، انشئ لهم الحماية والحرية، وتحت أنظار الآلهة العظيمة"^(٦٧).

وفي السياق ذاته هو احترام الآلهة ومعابدها ومعتقداتها حتى لو كانت للأعداء، قام الملك آشور - أخ - ادينا بترميم معبد الإله مردوخ ومعابد أخرى؛ لأنَّ أبوه الملك سين - آخي - أربيا انتهك حرمتها، لذا حاول عدم اغاظة اتباعه من الآشوريين، فبرر عمله، معلناً أنَّ غضب الإله مردوخ وقع عليها، وأنَّ الإله غفر لبايل خطيئتها^(٦٨). ويُذكر أنَّ الملك آشور - أخ - ادينا ساهم بنفسه بعملية البناء إذ قام بحمل سلَّة البناء على رأسه كأَيِّ عامل عادي، ووضع اللبن من العمال^(٦٩).

ولكُون الملك مُمثلاً عن الإله ووكيله في الأرض؛ لأنَّ الإله هو الحاكم الروحي الَّذي يمنح السطوة السياسية للملك، لذا جاء اعتقاد مفاده أنَّ الآلهة هي مَنْ توجه الملك بالحملة العسكرية وتأمُر بها. هذا ما يخبرنا به الملك آشور - أخ - ادينا، بأنَّ الآلهة هي من بعثته للهجوم على البلدان بحسب النص الَّذي ذكر فيه: "الآلهة بعثتني ضدَّ أيِّ بلاد تأتُمُّ ضدَّ الإله آشور"^(٧٠).

فاعتقد الملوك الآشوريين أنَّ الآلهة هي مَنْ تمنح القُوَّة للملك، بدلالة قول الملك آشور - أخ - ادينا في حملته جاء فيه: "آشور، أبو الآلهة، منحني القُوَّة لأجلاء النَّاس وإعادة إسكانهم، وتوسيع حدود آشور....."^(٧١).

وتمثَّل الحضور الإلهي في معارك الآشوريين، باستشارة الآلهة في العزم بالهجوم من عدمه، أو في تحديد وجهة الهجوم لا سيَّما إذا كان هناك أكثر من عدو، وأكثر من وجهة يمكن تسيير الجيش لها والبدء في الهجوم عليها، ولمعرفة نتيجة الهجوم مُقدماً، وتأتي هذه الاستشارة عن طريق الكاهن أو العراف الَّذي يُعدُّ فم الإله الناطق. وثمَّة طقوس على الملك القيام بها لكي يحصل على إجابة الإله، وهناك شواهد في نُصوص كتابات الملوك الآشوريين تُشير إلى هذه الاستشارة. فحينما أراد الملك آشور - أخ - ادينا (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) أن يُسير جيشه تجاه مصر عام ٦٧١ ق.م، عمل على استشارة الإله شمش، فجاء الرد على لسان العراف بقوله: "يا شمش السيِّد العظيم أعطني إجابة أكيدة لِمَا أسألك عنه، هل يجب على آشور - أخ - ادينا ملك آشور العمل والتخطيط؟ هل يجب عليه أخذ الطريق مع جيشه ومعسكره والذهاب إلى منطقة مصر كما يجب؟ هل يجب عليه أن يُوجج الحرب ضدَّ طهرافا ملك كوش والقوات التي لديه؟ وإذا ذهب هل سيدخل في المعركة مع طهرافا ملك كوش وجيشه؟ ... هل أن أسلحة آشور - أخ - ادينا ملك آشور ستتفوق وتسود على أسلحة طهرافا ملك كوش والقوات التي لديه؟ وهل أن قوات آشور - أخ - ادينا تهزِّمهم ... وتجتاحهم في النصر والقُوَّة والقدرة؟ هل أن آشور - أخ - ادينا ملك آشور سيعود حياً ويضع قدمه على الأرض الآشورية؟"^(٧٢).

ويظهر أمر استشارة الآلهة جلياً عند الملك (اشوربانيبال)، عندما قصد معبد الآلهة عشتار ليسألها العون المادي والمعنوي في حربه ضد الملك العيلامي (تيومان)، فجاءت الإجابة بالقول على لسان الملك: "وفي الليلة التي مثلت فيها أمامها (عشتار)، نام العراف، ورأى حلمًا". وهذا ما أباح له العراف من رؤيا في معبد الإلهة عشتار، التي يمكن أن نُجزئها على أربعة محاور:

أولاً: الوقوف معنوياً مع الملك بقوله: "لما سمعتُ الآلهة (عشتار) تنهّداتي الحائرة قالت لي: (لا تخف) فملاّت (بذلك) قلبي ثقة، ثمّ قالت: "إني رحيمٌ بقدر ما أرتفعت يدك للصلاة وأغرورقت عينك بالدموع" (٧٣).

ثانياً: مشاركة الإلهة عشتار إلى جانب جند الملك، بحسب قول العراف الذي جاء فيه: "وعندما أفاق (ادرك) أنّ عشتار التي تسكن (اربيلا)، والكنائن تتدلى من يمينها وشمالها. وكانت تحمل القوس بيدها، تشهر السيف للمعركة" (٧٤).

ثالثاً: تقديم المشورة من الإلهة عشتار للملك في حربه، بحسب ما أخبرنا به العراف مخاطباً الملك: " وكنت واقفاً أمامها فكلمتك ، وكأنّها أمك التي ولدتك . لقد نادتك (عشتار) المَعْظَمَةُ بَيْنَ الآلهة، وأعطتك الوصاية التالية: (سوف تكمل انجاز أوامري، وأني سأقدم حينئذٍ وأنت وجهك)" (٧٥).

رابعاً: قتال الإلهة عشتار إلى جانب الملك، وطمأنته، بإبعاد شبح الخوف الظاهر عليه، بقول العراف: "إنك قلت لي يا سيّدة السماء: دعيني أذهب معك حينئذٍ تذهيين، ثمّ أضافت قائلةً: ستبقى أنت هنا حيث مسكن الإله (نابو)، كل الطعام واشرب الخمر، واستمتع بالموسيقى، وامتدح إلهيتي، وأذهب أنا وأنجز تلك المهمة؛ لأجلك أن تنال ما يصبوا إليه قلبك، وليس هناك ما يُبرّر شحوب وجهك ، ولا تعب قدميك ولا خيبة قوتك في ميدان المعركة، (ثمّ) ضمتك إلى صدرها الحبيب، وحمّت كل جسمك، (ورأيت) ناراً تشتعل أمامها آنذ، إنها ستزحف إلى جانبك لتهرب أعدائك، أنها توجّهت ضدّ (تيومان) ملك عيلام الذي حققت عليه" (٧٦).

وتمدنا النصوص الملكية بشواهد عن تضرع الملوك الآشوريين إلى الآلهة بطلب النصر، منها: ما ذكره شيلمنصر الأول (١٢٧٢-١٢٤٥ ق.م) في كتاباته عن اخضاع بلاد اورارتو كلها والمدن المتحالفة معها بقوله: "في ذلك الوقت، في بداية حكمي، تمرّدت بلاد اورارتو، فرفعت يدي تضرعاً إلى الإله آشور سيدي والآلهة العظام، وحركت جيوشي، وذهبت ضدّ خصوئهم الجبليّة القويّة،

وقهرت ثمانى بلدانٍ بقوّاتها ... وفتحت وأحرقت إحدى وخمسين مدينةً، وأخذت مُمتلكاتها غنائم، وأخضعت جميع بلاد اورارتو في مُدّة ثلاثة أيّام" (٧٧).

فضلاً عن تضرع الملوك للآلهة الآشورية بالدعاء، ترد مُفردة الصّلاة للآلهة من قبل الملك طلباً للنصر، إذ بعد أن تأزم الوضع في الدولة، لامتناع الممالك الحورية عن دفع الاتاوات، وتشكيلها تحالفاً ضدّ الملك توكلتي ننورتا الأول، ممّا دفعه إعلان الحرب ضدّهم، واصفاً استعداداته الروحية بالصّلاة للآلهة، قبل تجهيز نفسه تعبويّاً للمعركة التي وصفها بقوله: "محلّ أرض سوبارو والأراضي التابعة لجبال كاشياري حتّى بلاد الزو التي كانت سابقاً في عهد سلمان-أشريد الأول، ملك العالم أبي، تمردت وامتنعت عن دفع الإتاوة، توحدت كلّها تحت قيادة واحدة (ضدّي)، صلّيت للإله آشور والآلهة العظيمة أسيادي، وبدأت بالزحف باتجاه جبال كاشياري، وفرضت سيطرتي على بلاد سوبارو، وبلاد الزو، وكل حلفائهم... وغزوئ أربعة مدن قوية تابعة للملك ايخلي تيشوب، ملك بلاد الزو، وستة مدن مُتمردة من بلاد امدانو...." (٧٨).

وممّا اضفاه الآشوريون على حروبهم طابع القداسة، بادعائهم أنّ الإله آشور هو مَنْ أمرهم بتوسيع حدود مناطق عبادته أي تمدد السيّادة الإلهيّة من القوميّة إلى العالميّة، وهذا الأمر سيُشرعَن تمدد الدولة الآشورية أمام شعبها، خافين الدوافع الفعلية من وراء هذا التوسع، مبررين توسعهم بأنّ الإله آشور هو من طلب ذلك، وأنّ أيّ تقاعس أو تردد لدحر أعدائه إنّما يُعدّ عصياناً للأوامر الإلهيّة، سيُسالون عنه، بدلالة ما جاء في كتابات شرو-كين (سرجون الثاني): "... أن آشور الّذي أمر أن تكون حدود هذه الأرض موسعة أكثر... وأنّ الاتاوات والضريبة تعود للإله آشور.. ونحن مسؤولون عنها أمام الإله آشور..." (٧٩).

وعمدّ الملوك الآشوريين إلى الإيحاء للأمم الأخرى بقوّة الإله آشور، وتسويقها إعلامياً؛ لرعب الاعداء وإجبارهم على الاستسلام، بدلالة ما أشار إليه الملك أدد نراري الثالث (٨١٠ - ٧٨٣ ق. م بعد انتصاره في حملته ضدّ الحثيين، بقوله: "إنّ ملوك أرض الحثيين الّذين تمردوا وامتنعوا عن دفع الاتاوات... إنّ شهرة آشور دبّت الرعب في قلوبهم، واكتسحتهم، ولهذا جعلتهم يخضعون لي... وبسنة واحدة أخضعت أراضي الحثيين كلّها..." (٨١).

وتضيف شواهد أخرى لِمَا سبق، أطلعنا عليها الملك آشور - أخ - ادينا في صراعه مع العيلاميين والكويتيين بقوله: "إنّ العيلاميين والكويتيين قومان عبيدان، وكانت علاقتهما مع أجدادي

عدائِيَّة، ولأنَّهما سمعا بقوة آشور التي أرعبتهما، وخوفاً من أن يُغلبوا، ولأجل المحافظة على حدودهما من الاعتداء والاعتصاب؛ لذلك بعثا رُسل الصداقة والسلام إلى نينوى، وأقسما يميناً بالآلهة العظام ... " (٨٢).

وبالغ الآشوريون بقداسة حروبهم، حينما ارجعوا النصر أولاً وأخيراً إلى الآلهة، وهنا اختزلوا الجهودات كافةً بفضل الإله في تحقيق النصر دون الآخرين، تبين ذلك في الحملة العسكرية التي قادها الملك توكلتي-آيل-أيشر الثالث ضدَّ الميديين التي ذكرها في حولياته بما نصه: "... اكتسحت مقاطعات الميديين الاقوياء، وذبحت أعداداً منهم...، ودمرت مدنهم ...، واحرقتها بالنار؛ لمنع عدوانهم ...، آشور الهائل هزمهم ...، جاءوا أمامي وقبلوا أقدامي...، الخيل والبغال استلمتها فدية..." (٨٣).

وتتدخل الآلهة هذه المرّة بمنح الثقة للملوك الآشوريين في حروبهم ضدَّ اعدائهم، بما يبعث الاطمئنان للملك وجنده، بأنَّ الآلهة هي من أولته هذه المهمة المقدَّسة، ويتبين ذلك في تمكين الآلهة لملك توكلتي-نورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) من أن يفرض سيطرته على المناطق الجبلية (٨٤)، فهي مَنْ منحتة الثقة في معاركه، بحسب ما ذكره في أحد نُصوصه: في ذلك الوقت، في بداية حُكمي، تمردت بلاد اورارتو، فرفعت يدي تضرعاً إلى الإله آشور سيدي والآلهة العظام، وحركت جيوشي، وذهبت ضدَّ حصونهم الجبلية القوية، وقهرت ثمانى بلدان بقواتها... وفتحت وأحرقت إحدى وخمسين مدينةً، وأخذت ممتلكاتها غنائم، وأخضعت جميع بلاد اورارتو في مدة ثلاثة أيام" (٨٥).

ويصل التوظيف الميثولوجي في الحروب الآشورية قمة ذروته لا سيّما في الأوقات الحرجة التي كانت تمر بها الجيوش الآشورية، وهنا يتحايل الكهنة بما فيهم (المنجمين والعرافين) بادعائهم على أنَّ الآلهة تتجلى لهم (٨٦)، الأمر الذي يسهم في اندفاع الجندي، ويرفع من روحه المعنوية، ويزيد إصراره على مقاتلة الأعداء. هذا ما حصل عندما أصاب الجنود الآشوريين الذعر عند رؤيتهم نهر ايديد (٨٧)، وهو هائج، الأمر الذي انعكس سلباً على نفسية ومعنويات الجنود الآشوريين، ممّا دفع الكهنة إلى طمأنة الجند بأنَّ الآلهة تجلّت لهم في رؤياهم، هذا ما نسمعه في النص الآتي: " رأى الجند نهر ايدي، وهو هائج، فقد خافوا العبور، ولكن الإلهة عشتار التي تسكن في اربيل، أرسلت مناماً إلى جنودي في الليل، وقد أخبرتهم أنني وبنفسي سوف أمشي أمام آشور - بان - ايل، ذلك الملك الذي خلقته يدي، وهكذا فقد تطمئن جنودي من جراء ذلك المنام، وعبروا النهر بسلام " (٨٨).

ولإظهار أنّ الحروب الآشورية كانت حروب مُقدّسة بين الآلهة ينوب عنهم البشر، يتجلى هذا المعتقد في أسر آلهة الأعداء في المعارك، والإقرار بسيادة الآلهة الآشورية ولا سيما إلههم القومي آشور عليها، وذلك بختها بكلمات تؤكد سيادة الإله آشور، وانتصاره على آلهة الأعداء، وما قام به الملك الآشوري سين - آخي - أريبا بعد سقوط أدماتو بيده بأخذه آلهة بلاد العرب أسرى إلى نينوى، كان أوضح شاهداً على أسر الآلهة، جاء ذلك على لسان ابنه آشور - أخ - ادينا بقوله: "من أدماتو adumatu حصن العرب الذي سبق لوالدي سين - آخي - أريبا ملك آشور أن استولى عليه، وكان قد حصل على غنائم ممتلكاتهم وتمائيل آلهتهم وملكة العرب اسكالات Iskallatu، وأخذهم جميعاً إلى بلاد آشور، حزائيل Hazail ملك العرب جاء إلى نينوى عاصمتي مُحملاً بالهدايا الثمينة وقبّل قدمي وتوسل إليّ أن أعيد تماثيل آلهته، فعظفت عليه واصلحت تماثيل اترسمين atarsamain، دي، Dai، نوحيه Nuhai، رولدي ruldai، عديل abirillu، واترقم atarquruma، آلهة العرب، وارجعتها له بعد أن نقشت عليها كتابات تشهد بالمنزلة العالية لسيدّي الإله آشور واسمي، وجعلت تبوعه التي ترعرت في قصر أبي ملكة عليهم، وارجعتها إلى بلدها مصحوبة بتماثيل آلهتها.." (٨٩).

ومِمّا يُذكر أنّ أغلب الملوك الآشوريين الذين ابتدعوا أسلوب جديد لإضفاء القدسيّة على معاركهم بأسر آلهة الأعداء والمدن المتمردة عليهم، متظاهرين أنّهم في فعلهم هذا يقاتلون من أجل أعلاء شأن إلههم القومي آشور، وهذا الطابع القدسي يخفي وراءه الهدف الحقيقي الذي سُنت من أجله الحروب. ومِمّا لا شكّ فيه أنّ السياسة الآشورية وأسلوب تعاملها مع المدن والأقاليم لم يكن على وتيرة واحدة، إذ اختلفت الملوك الآشوريين في ذلك، فعملية أخذ الآلهة التي يمكن أن تُسميها مجازاً بـ (أسر الآلهة)، ويبدو أنّ هذا الأسلوب لم يكن يشمل جميع البلدان والمدن التابعة لها، وإنّما اقتصر على البلدان ذات الطابع الاقتصادي المهم للمملكة الآشورية؛ وكذلك البلدان التي تتكرر فيها الثورات والانتفاضات ضدّ بلاد آشور، ولعلّ من الأسباب التي دعت الملوك الآشوريين إلى انتهاج هذا النهج إنّما يكمن من أجل محاولة السيطرة على تلك الاقوام بإخضاعها وإذلالها عن طريق أخذ آلهتها؛ وبذلك ينتاب شعور لدى شعوب تلك البلدان بالخذلان، وأتى هذا الإجراء بأكله؛ لأنّه أسهم كثيراً في تجنب تكرار تلك الثورات عليهم، لذلك نلاحظ أنّ تلك الممارسة اتبعتها أغلب الملوك الآشوريين لا سيما في العصر الآشوري الحديث، وهذا ما لمسناه في حملة الملك (أدد نراري الثاني) التي قام بها بأمر الإله آشور، وزحف نحو الجهات الشمالية الشرقية وتحديدًا مملكة قومان^(٩٠) من أجل الحصول على

الغنائم لبلاد آشور، فأقدم على قتالهم وإلحاق الهزيمة بهم، ممّا دعاه إلى تقديم الهدايا للإله آشور الذي أزره في نصره ضدّ آلهتهم التي جلبها من هناك، وقد ضمّن ذلك في حولياته بما نصه: " بأمر من آشور الإله العظيم سيدي، فقد زحفت قواتي وعرباتي إلى بلاد قومأ Gumānu الواسعة. وسيطرت على الأراضي الواسعة التابعة لها... ثمّ قمتُ بأسر الويا luia ملك قومانو في قصره، وقتلت أخوته، وجعلتهم ركام، وألحقت الهزيمة بهم، وحصلت على الغنائم والممتلكات وقطعان الماشية، وأخذتها إلى مدينة آشور. وجلبتُ آلهتهم كهدايا لآشور"^(٩١).

وفي الدلالة ذاتها، يتّضح في الحملة التي شنّها الملك آشور - ناصر - إبل الثاني في الجهة الغربية من آشور على بيت اديني في جنوب كركميش، التي اتخذت من مدينة سورو في بيت حالوبي مركزاً لنشاطاتها ضدّ المملكة الآشورية، فعمدّ على دخول المدينة، وأخذ آلهتها، ممّا ضمّن للأشوريين الهدوء في المنطقة لمدة خمس سنوات^(٩٢)، بحسب ما أشار إليه النصّ الملكي بالقول: " وبشجاعة قلبي اختطفت أخي - يبابا ، وأخذته أسيراً وحررتهم منه ، ودخل ضباطي إلى قصره، ... وأخذت نساء قصره وبناته وأسرى من المتمردين ، سوية مع ممتلكاتهم، ... أخذتهم أسرى مع آلهتهم"^(٩٣).

وتضيف الحوليات الآشورية بما يُدعم أسلوب أغلب الملوك الآشوريين باتباعه وهو (أسر آلهة الأعداء)، إذ قاتل الملك شلمان - اشريد الثالث حاكم مقاطعة نامري (مردوك مودامق) الواقعة على الزاب الأسفل؛ كوّنها تشكل تهديدا على أملاك الدولة الآشورية، فانتصر عليه في المعركة، ممّا دفع حاكم ناميري على الهروب من الجيش الآشوري الذي دخل المدن المحصنة، فأخذ ممتلكاتها مع آلهتها، إذ أشار الملك إلى ذلك بقوله : "... مردوك مودامق ملك نامري Namri... انطلق نحو نوي بفرسانه ومقاتليه؛ ليحاربني عند نهر نمریت... أخذت فرسانه وهزمته... وترك مدنه القويّة المحصّنة... لينقذ حياته... فأغرّك على قصوره، وأخذت منها آلهته وممتلكاته..."^(٩٤).

وابتدع أغلب الملوك الآشوريين أسلوب جديد لإضفاء قدسيّة على معاركهم هو أسر آلهة الأعداء والمدن المتمرّدة عليهم، متظاهرين إنهم في فعلهم هذا يقاتلون من أجل أعلاء شأن إلههم القومي آشور، وهذا الطابع القدسي يخفي وراؤه الهدف الحقيقي الذي شنت من أجله الحروب. وممّا لا شكّ فيه أن السياسة الآشورية وأسلوب تعاملها مع المدن والأقاليم لم يكن على وتيرة واحدة، إذ اختلفت الملوك الآشوريين في ذلك، فعملية أخذ الآلهة التي يُمكن أن تُسميه مجازياً ب (أسر الآلهة)، ويبدو أنّ هذا الأسلوب لم يكن يشمل جميع البلدان والمدن التابعة لها، وإنّما اقتصر على البلدان ذات الطابع

الاقتصادي المهم للمملكة الآشورية؛ وكذلك البلدان التي تتكرر فيها الثورات والانتفاضات ضد بلاد آشور ، ولعل من الأسباب التي دعت الملوك الآشوريين إلى انتهاج هذا النهج إنما يكمن من أجل محاولة السيطرة على تلك الأقوام، بإخضاعها وإذلالها بأسر آلهتها؛ وبذلك ينتاب شعور لدى شعوب تلك البلدان بالخذلان، وأتى هذا الإجراء بأكله؛ لأنه أسهم كثيراً في تجب تكرار تلك الثورات عليهم، لذلك نلاحظ أنّ تلك الممارسة اتبعتها أغلب الملوك الآشوريين لاسيّما في العصر الآشوري الحديث ، وهذا ما لمسناه في حملة الملك أدد نراري الثاني ٩١١ - ٨٩١ ق. م التي قام بها بأمر الإله آشور، وزحف نحو الجهات الشمالية الشرقية وتحديدًا مملكة قومان^(٩٥) من أجل الحصول على الغنائم لبلاد آشور، فأقدم على قتالهم وإلحاق الهزيمة بهم، ممّا دعاه إلى تقديم الهدايا للإله آشور الذي آزره في نصره ضد آلهتهم التي جلبها من هناك، وقد ثبت ذلك في حولياته بما نصه: "بأمر من آشور الإله العظيم سيدي، فقد زحفت قواتي وعرباتي إلى بلاد قومان Gumānu الواسعة. وسيطرت على الأراضي الواسعة التابعة لها... ثمّ قمتُ بأسر الويا luia ملك قومانو في قصره، وقتلتُ أخوته، وجعلتهم ركام، وألحقت الهزيمة بهم، وحصلت على الغنائم والممتلكات وقطعان الماشية، وأخذتها إلى مدينة آشور، وجلبت آلهتهم كهدايا لآشور"^(٩٦).

وفي الدلالة ذاتها، يتّضح في الحملة التي شنّها الملك آشور - ناصر - ابل الثاني في الجهة الغربية من آشور على بيت اديني في جنوب كركميش، التي اتخذت من مدينة سورو في بيت حالوبي مركزاً لنشاطاتها ضدّ المملكة الآشورية، فعمد على دخول المدينة، وأخذ آلهتها، ممّا ضمّن للآشوريين الهدوء في المنطقة لمدة خمس سنوات^(٩٧)، بحسب ما أشار إليه النصّ الملكي بالقول: "وبشجاعة قلبي اختطفت أخي - يبابا ، وأخذته أسيراً وحررتهم منه، ودخل ضباطي إلى قصره، ... وأخذتُ نساء قصره وبناته وأسرى من المتمردين ، سويةً مع ممتلكاتهم ، ... أخذتهم أسرى مع آلهتهم"^(٩٨)

وتضيف الحوليات الآشورية بما يُدعم أسلوب أغلب الملوك الآشوريين باتباعه وهو (أسر آلهة الأعداء)، إذ قاتل الملك شلمان-أشريد الثالث حاكم مقاطعة نامري (مردوك مودامق) الواقعة على الزاب الأسفل؛ كونها تُشكل تهديداً على أملاك الدولة الآشورية، فانتصر عليه في المعركة، ممّا دفع حاكم ناميري على الهروب من الجيش الآشوري الذي دخل المدن المحصنة، فأخذ ممتلكاتها مع آلهتها، إذ أشار الملك إلى ذلك بقوله: "... مردوك مودامق ملك نامري Namri ... انطلق

نحوي بفرسانه ومقاتليه؛ ليحاربني عند نهر نمریت... أخذت فرسانه وهزمته... وترك مدنه القوية المحصنة... لينقذ حياته... فأغرث على قصوره، وأخذت منها آلهته وممتلكاته...^(٩٩).

ولم يكن أسر الآلهة من البلدان والمدن المتمردة على المملكة الآشورية هو الأسلوب الوحيد في الضرب على الجانب العقائدي والديني للبلدان، وإنما أتخذ الملوك الآشوريين أسلوب آخر، يُعدّ نوعاً من السياسة الدعائية، إذ كانت تهدف هذه السياسة على إبقاء السيطرة على المناطق التي يتم إرجاع تماثيل آلهتها وأيضاً كسب ودّها وتأييدها بالتأثير على الجانب العاطفي لدى الناس في المجتمع الآشوري خاصة والمجتمعات الأخرى بصورة عامة؛ وذلك باسترجاع الآلهة من الأسر، ويتبين هذا الإجراء بما أشار إليه الملك شرو-كين، الذي أعاد الآلهة المسروقة من قبل مردوك ابلا-ايدنا Marduk-abal-iddina من مدن جنوب العراق وأعادها إلى أصحابها ومعابدها، هذا ما تضمّنه قول الملك الذي جاء فيه: "... قمتُ بإعادة الآلهة المسروقة إلى مراكز العبادة الخاصة بها، واعدتها إلى مكانتها المقدّسة...."^(١٠٠).

وفي السياق ذاته يوظف معتقد أسر الآلهة توظيف آخر، حينما يقوم الملك الآشوري بإعادتها إلى أماكنها بعد أن أسرت من قبل الملك الذي سبقه، في ردة فعل يراد منه إرضاء كهنة الآلهة، وعدم ارتياحه من تصرفات من سبقه في انتهاك حرمة الآلهة ومعابدها، ولكن على العموم لا يخرج ذلك من أثر توظيف الميثولوجيا عسكرياً، بما يخدم الاغراض الاستراتيجية التي يعمل عليها الملوك الآشوريون، ويتضح هذا العمل بما قام به الملك نبوبلاصر بإعادة تماثيل الآلهة التي جلبها آشوربانيبال في عملياته الحربية تجاه بلاد عيلام^(١٠١)، واعدت تماثيل آلهة سبار ومدينة شبازو(شمال مدينة بابل) فضلاً عن إعادته لتمثال الإله شمش إلى بابل^(١٠٢)، هذا ما تضمّنته نصّ حولياته بالقول: "في اليوم السابع عشر من السنة الأولى من شهر نيسان حلّ الخوف والرعب في المدينة فحمل آلهة مدينة شمش، وآلهة شبازا إلى بابل"^(١٠٣).

ونبقى في إضفاء الآشوريين الصفة القدسية على حروبهم، الذي يُراد منه إخفاء الدافع الفعلي لها، ففي جوانب من صراعاتهم الحربية مع الأقوام الأخرى، صوّروا أنّ حروبهم هي للآلهة ومن أجلها، لذا طفت على سطح الأحداث الحربية توظيف الميثولوجيا، المُتمثل في صورة منه بإعادة تماثيل الآلهة التي سبق للملوك الأعداء أن نقلوها في غاراتهم، واضفوا على هذا الفعل هالة من القدسية حينما جعلوه يأتي بوحى من الإله نفسه، يطلب من الملك أن يفك أسره، يتضح ذلك، بقيام الملك العيلامي كوتر ناخونتي في هجومه على المناطق الجنوبية، بأخذه لتمثال الإلهة إننا(عشتار)،

وقد نتج عن هذا الهجوم تخريب عدد من المدن، إذ بقيت آثار هذا الهجوم تُستذكر لأكثر من ألف عام، إلى أن أعادها الملك آشور باني أبل (اشوربانيبال)، الذي أخبرنا في نصّ حولياته عن كيفية أسر الإلهة إننا (عشتار)، وعادتها، بالقول: "إن الملك العيلامي كوتر ناخونتي الذي لا يأبه بالحدث بقسمه أمام الآلهة، ولا يعرف الثقة بنفسه، نهب مقدّسات أكد وحطم رؤوس معالمها، وأنّ الإلهة لنا وضعت الثقة بيّ فأعدتها إلى بيتها"^(١٠٤).

وفي حديثه يرد أيضاً ما يوضح أن الإلهة إي-أنا (عشتار) هي من اختارت آشور-باني-ابل لإنقاذها من أسر العيلاميين بقوله: "... أنه آشور-باني-ابل الذي سيخرجني من عيلام المذنبة (الشريرة)، وسيدخلني إلى معبد أي - أنا، وهكذا عملت على حماية هذه الآلهة، وأعدتها إلى الوركاء مكانها الخالد معبد أي - أنا الذي تحبه..."^(١٠٥).

ونلمس من هذا النص اعتراف الملك الآشوري بفضل الآلهة عليه، فهي من جاءت به إلى سدة الحكم، لذا يترتب على الملك رد الفضل للآلهة والاعتراف بجميل فعلها، حتّى لو تطلب الأمر شن الحملات العسكرية ضدّ أولئك الذين لعنوا الآلهة أو ذكروها بسوء، وعدم احترامهم لها، الأمر الذي لا يُعد مقبولاً من ملوك آشور الذين جلا ما يخشونه هو غضب الآلهة وانزعاجها، يؤكد ذلك قول الملك اشور-باني-ابل: "أنا لا أعرف أمي وأبي... آلهتي أنشأتني واختارتني لحكم البلاد..."^(١٠٦).

ولقدسيّة الحروب الآشورية أشرك الملوك الآشوريين آلهتهم بإعطاء جزء من الغنائم التي غنموها من أعدائهم في معاركهم إلى آلهتهم؛ اعترافاً بفضلها في مدّهم بالعون، وكانوا السبب في تحقيق النصر، هذا ما نسمعه في قول الملك توكلتي-أبل-ايشرّ الأول ١١١٥ - ١٠٧٥ ق. م، من إشارات إلى الهدايا التي قدّمت احتفاءً بالنصر، من ثيران وأغنام وماشية وخيول وممتلكات، وكذلك السرير الملكي والمجوهرات إلى آشور وبقية الآلهة^(١٠٧) الذين أمره بقيادة حملته العسكرية إلى بلاد نائيري^(١٠٨) التي تمرد حكامها، وامتنعوا عن دفع الإتاوات من الخيول والماشية المقررة للآلهة: "...بأمر سيدي الإله آشور، ذهبْتُ إلى بلاد نائيري التي لم تعرف الخضوع... الممرات الوعرة التي لم يعرفها ملك سابق... وقد استوليت على معداتهم ومركباتهم وملوكهم بما في ذلك الذين قدموا لهم المساعدة... وقد غنمت منهم قطعان واسعة من الخيول والحمير والماشية التي كانت في المراعي..."^(١٠٩).

وتصنيف كتابات الملك آشور دان الثاني ٩٣٤ - ٩١٢ ق.م إشارات إلى الهدايا التي قُدمت احتفاءً بالنصر، وقُدمت غنائم كثيرة إلى الآلهة، جاء فيها: "... بأمر الإله آشور.... زحفت إلى جبال كيرورو ، وسيطرت على مدن سوخو، وسميرا، وأراضي (لو....)، ومدن جبل كيرورو، وحصلت على غنائم كثيرة، وممتلكات وقطعان الماشية، وأخذتها إلى مدينتي آشور، وجلبت آلهتهم كهدايا إلى الهي... وأعطيت إلى آشور إلهي..."^(١١٠). وبالغت بعض النصوص بما كان يُقدّم إلى الآلهة من هدايا وغنائم غموها في معاركهم إلى آلهتهم التي قاتلت معهم وسحقت الاعداء، وأنّ ما حصلوا عليه من غنائم تُقدّم كلّها للآلهة، لأنّها هي من أزرت الملك في حروبه ضدّ اعدائه، ومن الشواهد التي تُبيّن ذلك، هو ما اسفرت عنه الحملة العسكريّة التي قام بها (آشور - أخ - ادينا) ضدّ مصر عام ٦٧١ ق.م، ودخوله ممفيس ، وحصوله على غنائم كثيرة- تبدو المبالغة فيها واضحة- قدّمها إلى الآلهة، بقوله: ".....أكثر من أعداد الجراد من أموال جلبتها (وقدّمتها) إلى آشور، إنليل، نورتا، كولا، نركال، عشتار ملكة (اربايلو Arbailu) إربيل، أذين وقفوا بجانبني، وسحقوا أعدائي، واستجابوا لكلّ رغباتي، أقدم هذه الهدايا، الذهب اللامع والفضة، الأحجار الكريمة، غنائم مصر واثيوبيا التي حصلت عليها بأمر من آشور ومساعدته...."^(١١١).

واعتقد الملوك الآشوريين أنّ الآلهة هي مَنْ تختارهم، وتساعدهم في تحقيق طموحاتهم، فوظّفوا هذا المعتقد الميثولوجي في حروبهم على أن نصرهم كان بعون من الآلهة، فهي لم تقف معنوياً إلى جانب مَنْ تختاره من الملوك فحسب، بلّ تدعّمه مادياً أيضاً، بمنحه الاسلحة الإلهيّة الفاعلة في تحقيق النصر، هذا ما افتخر به الملك آشور- ناصر- ايل الثاني، بقوله: "عندما ناداني الإله العظيم آشور باسمي... وجعل سلطتي فوق سلّطة ملوك الجهات الأربع، واسمي العظيم فوق كل شيء، ووضّع سلاحه الفتاك الذي لا يعرف الرّحمة بين اسلحتي الإلهيّة، وأمرني أن أحكم وأسيطر على الأراضي العليا المنبوعة، وبمساعدة آشور إلهي ودعّمه، استمرّيت بالزحف عبر المسالك الصعبة والشاقة والجبال الوعرة، برفقة حشود قواتي، ولم يكن هناك خصم يعترضني..."^(١١٢).

وثمّة وسائل أخرى أضفى بها الملوك الآشوريين طابع القدسيّة لحملاتهم العسكريّة، ثمّثلت في توظيفهم للكهنة سواء أكانوا عرافين أم قارئ فأل ، وأنّ عملية استخدام هؤلاء لم تكن اعتباطية، وإنّما هي من الأمور التي تمّ دراستها وما يتصل بها من تأثير عميق في الحملات العسكريّة الآشورية؛ لأنّ مشاركتهم يُسهم بشكل أكبر في إضافة دفع معنوي للجندي الآشوري؛ لكون خدّمة

الآلهة (الكهنة) بجانبهم، وأن أصل الحملات هو إلهي، والذي يقود الحملات هو نائب الإله (الملك)، فمما لا شك فيه أن ذلك يُسهم وبشكل فاعل في زيادة اندفاع الجندي في المعارك^(١١٣).

ويتجلى الطابع القدسي في الحروب الآشورية أيضاً، بقيام الكهنة بالتنبؤ، إذ غالباً ما يشيرون بها إلى الملوك وكان لها الفعل المؤثر في الحملات الآشورية، منها مشورة أحد المتنبئين إلى الملك (آشور - بان - أبل) بفأل حسن عند قيامه بالحرب ضد أخيه ملك بابل (شمش - شم - اوكن) الذي تمرد عليه فأشار بقوله: "إلى الذين يتآمرون ضد آشور - بان - ابل، ويزرعون العداوات، إنني أدعوا عليهم بالموت البغيض، بالخناجر الحديدية اللامعة، وبالحرائق الملتهبة، وبالمجاعة والطاعون، وسوف أنهي حياتهم"^(١١٤).

وتضيف النصوص الملكية شواهد أخرى عن استعانت الملوك الآشوريين بالكهنة والعرافين (فم الإله الناطق)، بتفسيرهم للرؤيا، وتوظيف مظاهر الطبيعة مثبولوجيا لخدمة الاغراض الحربية، والإيحاء مقدماً للجنود أن النصر آتٍ لا محال، وأن نهاية الأعداء محتومة، هذا ما نستشفه من كتابات الملك آشور - بان - أبل التي نستشف منه ووقوفها إلى جانبه معنوياً بقوله^(١١٥): "لما سمعت الإلهة عشتار تنهداتي الحائرة قالت لي: (لا تخف)، فمألت (بذلك) قلبي ثقة ثم (قالت): إنني رحيمة بقدر ما أرتفعت يداك للصلاة، واغرورقت عيناك بالدموع"، وجاءت الرؤيا الإلهية للعراف، فطمئن الملك أن الإلهة عشتار ستقف إلى جانبه بأسلحتها الإلهية الفتاكة بقوله: "وفي الليلة التي مثلت أمامها، نام العراف ورأى حلمًا، وعندما أفاق (أدرك) أن عشتار أرتته رؤيًا في الليل، فقص علي (ما رأى) وقال: جاءت عشتار التي تسكن أربيل... تحمل القوس بيدها، وتُسهر السيف للمعركة، وكنت واقفاً أمامها، فكلمتك وكأنها أمك التي ولدتك". ثم جاء في تفسير الرؤيا، الوصايا التي عليه الأخذ بها؛ ليزداد طمأنته، وهو يزوم المواجه مع خصمه بحسب ما جاء في النص: "لقد نادتك عشتار المعظمة بين الآلهة، واعطتك الوصايا التالية: سوف تكمل إنجاز أومري، وإنني سأقدم حينما وليت وجهك، أنك قلت لي يا سيده السماء دعيني أذهب معك حيث تذهبين، ثم اضافت قائلة: ستبقى أنت هنا حيث مسكن الإله نابو، كل الطعام وأشرب الخمر، وأستمع بالموسيقى، وأمدح إلهوتي، في حين أذهب أنا وأنجز تلك المهمة، لأجل أن تنال ما يصبو إليه قلبك، وليس هناك ما يبزر شحوب وجهك ولا تعب قدميك، ولا خيبة قوتك في ساحة المعركة". وطمأنه تفسير الرؤيا أخيراً بأن عشتار ستقاتل إلى جانبه، بالقول: "إنها سترحف إلى جانبك؛ لقهز أعدائك".

ونبقى في معتقد الفأل الحسن الذي يحصل عليه الملك بالرؤيا التي يراها في منامه، ويفسرها له العرافين، بما يبعث الاطمئنان له من الآلهة قبل بدء المعركة، حتّى إنه يتفائل في أشهر معينة من السنة يعتقدونها مُباركة لشن هجومه، هذا ما حصل مع الملك آشور - بان - أبل بقوله: "تَوَجَّهَتْ إِلَى بِلَادِ عِيلَام، تَنْفِيذًا لِأَمْرِ الْآلِهَةِ، آشور ، شامش... وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ أَيْلُول، شَهْرَ أَبُو الْإِلَهَةِ، الْإِلَهَةِ إِنْلِيل، فَفَعَلَتْ كَالْإِعْصَارِ الْهَائِجِ بِبِلَادِ عِيلَام أَجْمَعَهَا، وَقَطَعَتْ رَأْسَ مَلِكِهِمْ تِيومان ..." (١١٦).

فضلاً عن التنبؤ وتفسير الرؤيا، كانت من واجبات الموظفين الكهنة الذين يرافقون الحملات العسكريّة هو حملهم لرايات الآلهة وأعلامها (١١٧)، الأمر الذي يُسهم في إضفاء قداسة أعظم على الحملات العسكريّة الآشورية. وكان من واجبات الكهنة (العرافة) التنبؤ بوسائل شتى في تحديد الوقت والمكان المناسبين لإجراء الحملة العسكريّة بعد أن يطلب الملك منهم ذلك، وكان عليهم إبداء النصح له وإعلامه بالموعد والمكان الملائم للمعركة (١١٨).

وكانت من طقوس انتصارات الملوك الآشورية هي فرض السيادة على المهزوم، وذلك بإداء القسم بالآلهة الآشورية، اعترافاً بالسيادة الآشورية عليهم، ومن شواهد ذلك هو ما قام به الملك توكتي - نورتا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) من فرض سيادته على الكوتيين، بأخذ المواثيق الإلهيّة عليهم، بعد القسم بها، بحسب ما ذكره في أحد نصوصه: "وَبِهَذَا أَصْبَحْتُ سَيِّدَ الْأَرْضِ الْوَأَسَعَةِ، وَسَيِّدَ الْكُوتِيِّينَ، وَجِئْتُ بِجَحَافِلِ امْرَأَةٍ هَمَّ إِلَى مَدِينَةِ آشور، وَجَعَلْتُهُمْ يُفْسِمُونَ بِالْإِلَهَةِ السَّمَاءِ الْعَظِيمَةِ بِسِيَادَةِ بِلَادِي عَلَيْهِمْ" (١١٩).

وتأسيساً على هذا التوظيف الميثولوجي بجعل السيادة الآشورية على البلدان مرتبطة بالقسم بالآلهة الآشورية، استغل الآشوريون ذلك، وعدّوا تمرد الأقوام انتهاكاً للعهد بالآلهة، والحنث بالقسم بها، وأنهم لم يخشوا الآلهة والانصياع لها، بعد أن أخذت عليهم العهود والمواثيق بقسمهم بالآلهة الآشورية، وبالنتيجة إعلانهم العصيان ثانية، ممّا يتطلب إعادة كرّة الحرب، بدلالة ما وصفه الملك شرو كين الثاني (سرجون الثاني) للحيثيين في حولياته الملكية، موجهاً إليهم اللوم؛ لأنّهم حنثوا (نكثوا) في قسمهم للآلهة، وما يترتب على ذلك من عقوبة قاسية، لأنّهم خرّقوا المقدّس المُتمثّل بالالتزام بيمين القسم، بقوله: "... امرأ كركميش وحماة وكومخ واشدود الحيثيون الأشرار الذين لا يخشون من اسم الآلهة..." (١٢٠). وفي السياق ذاته يقول أيضاً: "... حيثيون أشرار لا ينصاعون لأمر الآلهة..." (١٢١).

وتضيف شواهد تاريخية أخرى عن موضوع خرق عهد القسم بالآلهة الآشورية، الذي عُذ إعلان العصيان والتمرد ثانية، وإعادة كرة الحرب - كما أسلفنا القول -، لأنه لم ينم عن احترام للآلهة الآشورية وعهد الأمان الذي منحتة الآلهة لهم، بدلالة قيام الملك شرو كين الثاني (سرجون الثاني) بحملة ضد حاكم كركميش، لأنه نكث بقسم الآلهة، الذي جاء ذكر هذه الحملة في حولياته بالقول: " في سنة حكمي الخامسة، أتم (بسييري pisiri) حاكم كركميش ضد قسم الآلهة، وظلّ يبعث بالرسائل إلى (ميثا) ملك بلاد مسكي (Muske) حول الغدوان على بلاد آشور، رفعت يدي إلى سيدي آشور، وهكذا أخذته وعائلته، أسرى" (١٢٢). ومن شواهد نكث القسم بالآلهة أيضاً، ما حدث في عهد الملك آشور - أخ - ادينا (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) من تمرد قاده حاكم القطر البحري (نابو - زير - كيتي - ليشر)، وتقدم الجيش الآشوري، وما آل إليه مصيره مع أخيه، الذي حدثنا عنه الملك (آشور - أخ - ادينا) في حولياته قائلاً: " بسبب القسم بالآلهة العظيمة الذي إنتهكه: آشور، وسن، وشمش، وبيل، ونابو، وضغوا عليه عقوبة ثقيلة (السكان) دفعوه إلى الموت بالسيف في عيلام، وعندما رأى أخوه نايد - مزدوخ ما حدث في عيلام وما فعلوه لأخيه، فر من عيلام، وجاء إلى آشور، ليصبح خادمي والتمس (العفو) في ملكي... " (١٢٣). وفي شاهد آخر عن تبرير شن الحملات العسكرية بداعي عدم احترام الآلهة الآشورية هو الحملة العسكرية التي قادها الملك الآشوري (آشور - بيل كالا - ١٠٧٤ - ١٠٥٥ ق.م) ضد الاخلامو والآراميين، سكان الصحراء، الذين لا يحترمون الآلهة، ولا يعترفون بها حين عبروا الفرات وأغاروا على بلاد آشور، وأنه: " بأمر من الآلهة: آشور، وأدد الآلهة الكبرى، توجه ضدهم، وقهر مدنيهم التي تقع في الجهة المقابلة لضفة الفرات.... " (١٢٤).

ومما يذكر أنّ عقاب من نكثوا العهد بالقسم للآلهة الآشورية، سينالون العذاب الشديد، إذ بالغ الآشوريين في توصيفاتهم بما يعطي انطباعاً عن توظيف الميثولوجيا الدينية بشكل فاعل، للحد من التمردات وقمعها، والقسوة المتناهية التي ترافق عملياتهم العسكرية، إلى حد نبش قبور ملوك الأعداء، مما يعني أنّ الانتقام الآشوري يُطال هؤلاء الملوك حتى بعد مماتهم، وبرروا عملهم على أنه واجب ديني، يُطال من يتمرد على السيادة الآشورية، ليعطوا الشرعية المقدسة لحروبهم وتمدهم الاقليمي، نتلمس ذلك في توصيف الملك (آشور - بان - أبل) لحملة على بلاد عيلام بقوله: "لقد نبشت قبور ملوكهم السابقين واللّاحقين، ودمرت الذين لم يحترموا الآلهة: آشور وعشتار سادتي

..... وَعَرَضْتَهُمْ لِلشَّمْسِ، أَخَذَتْ عِظَامَهُمْ إِلَى بِلَادِ آشور، وَجَعَلَتْ أَشْبَاحَهُمْ نَعْبَةً، وَخَرَمَتْهُمْ مِنْ قِرَائِينَ الطَّعَامِ وَسَكَبِ المِيَاهِ" (١٢٥).

وبالغ الآشوريين في تبرير دوافع حملاتهم العسكرية، فإنَّ عدم احترام الآلهة يُعدُّ عملاً يستحق أن تُشن بسببه الحملات العسكرية، ولكن دوافعه الحقيقية هو إعلان تمرد المدن ضدَّ السيادة الآشورية ثانيةً، وعدُّه عملاً يستحق الانتقام لرد الاعتبار للآلهة، بدلالة وصف سلمان -اشريد الأول حملته على مدينة أرينو بقوله: "إِنَّ مَدِينَةَ أَرِينُو، المَدِينَةُ المَقْدَّسَةُ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى أَرْضِ صَخْرِيَّةِ الَّتِي تُمَرِّدُت سَابِقًا، وَاحْتَفَرَّت آشور، وَبِعَوْنِ آشور وَالآلِهَةَ العِظَامِ سَادَتِي اسْتَوَلَيْتِ وَدَمَّرَتْ تِلْكَ المَدِينَةَ" (١٢٦).

وبناءً على ما تقدم في عدِّ تنفيذ الحملات العسكرية بأوامر من الآلهة، وأنها واجب مقدَّس، لذا ساد اعتقاد لدى بعض الملوك الآشوريين أنَّ أيَّ تقاعس أو تردد بشن الحملات العسكرية يُعدُّ خرقاً للمقدس الإلهي، والملك مسؤول أولاً وأخيراً أمام الآلهة عن تنفيذها، وفي خلاف ذلك يتعرض إلى المسائلة منها، هذا ما ذكره شرو-كين (سرجون الثاني) في كتاباته قائلاً: "... إِنَّ آشور الَّذِي أَمَرَ أَنْ تَكُونُ حُدُودُ هَذِهِ الأَرْضِ مُوسَعَةً أَكْثَرَ... وَأَنَّ الاتاوات وَالصَّرِيْبَةَ تَعُوذُ لِإِلَهِ آشور.. وَنَحْنُ مَسْئُولُونَ عَنْهَا أَمَامَ الإِلَهِ آشور... " (١٢٧). وعدَّت الحملات العسكرية واجب ديني مقدَّس (أمر الإله) يقوم به الملك، لإرضاء الآلهة وتنفيذ أوامرها. وأنَّ عدم تأديتها سيُطال البلاد والعباد العقاب، بإحلال الأمراض أو المجاعة أو الكوارث الطبيعية فيها (١٢٨). وبما أنَّ دفع الاتاوات والضرائب تعود بمجملها إلى الآلهة، ويوكل صرفها إلى الملك، لأغراض دينية تتعلق بالإنفاق على معابد الآلهة، لذا فإنَّ أيَّ تمرد على السُلطة الآشورية، معناه تمرد على الآلهة، واماؤها المقدسة (من اتاوات، وضرائب).

وصفوة القول في ميثو الحروب الآشورية، اتضح أن الآشوريين انتفعوا من توظيفهم للمثولوجيا الدينية، وكانت خير عون لهم في تحقيق أهدافهم التوسعية، وقمع حركات التمردات ضدهم، لأن الماكنة الحربية وحدها لم تكن كفيلاً في تحقيق المشروع الآشوري التوسعي الطموح، ما لم يُدعم بجانب معنوي، لذا حركوا مشاعر العامة للالتفاف حولهم عن طريق إثارة أحاسيسهم ومعتقداتهم الدينية، فبرعوا أيما براعة في تغليف مشروعهم التوسعي باسم الدين ومن أجله، وكان لهم ارادوا.

خلاصة البحث ونتائجه

نخلص ممّا تقدّم إلى نتيجة مفادها أنّ الملوك الآشوريين أخذوا يصورون الحروب المستمرة التي كانوا يقودونها على أنّها حروب ذات طابع قُدسيّ، محاولين إخفاء دوافعها الحقيقية، حينما برروا تلك الحروب على أنّها حروب إلهية مُقدّسة ، تُشنّ بأمر الآلهة ومن أجلها وبمباركتها. وأنّ اندفاعهم لها إنّما هو امتثال واندفاع لأوامر الآلهة التي يقف في مقدمتهم الإله آشور، وأنّ جميع الأعمال العسكرية التي كانوا يقومون بها، إنّما هي من أجل إرضاء الآلهة بالدرجة الأساس، لذا كان الإعلام ووسائله المتمركزة بيد السلطة قد نجحت في توصيل تلك الإشارات عبر الكتابات الملكية الآشورية، والتي تُدلل على ارتباط الملوك بالآلهة، بذلك استطاعوا تسويق فكرة مفاده، (إنّ الحرب من أجل الآلهة وبها يتحقق النصر)؛ لخداع ابناء شعبهم بما كانوا يسعون من أجله في تحقيق السيطرة على الأقوام الأخرى والتوسع على حسابها؛ لذا وظّفوا الدين ميثولوجيا في حملاتهم العسكريّة، لا سيّما كبار المجمع الإلهي وبعض الآلهة الأخرى التي تحمل من الصفات ما يُعبر عن القوّة والقسوة، والإشارة إليّهم في كتاباتهم الملكية كونهم: أمروا، وأشاروا، وطلبوا من الملوك قيادة تلك الحملات، ممّا انعكس ذلك وبشكل إيجابي بالتفاف الشعب حول قياداته، وبالنتيجة تحقق للآشوريين ما أرادوا في سياستهم التوسعية، التي بنوها على أنّ النصر من الإله وإلى الإله وشعبه .

ويمكن أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الفصل، وهي:

- ١- وقوف الآلهة إلى جانب الملك في حملاته العسكرية، ويقف الإله آشور في مقدمة الآلهة التي تضمنتها حوليات ملوكهم، فضلاً عن آلهة أخرى وظّفها الآشوريون في ميثو حروبهم هي: (أنو، وإنليل، وإنكي، وأدد، وشمش، ونابو، وعشتار)؛ لأنّ هذا الآلهة تحمل من الصفات والرموز ممّا جعلها آلهة ذات طابع عسكري.
- ٢- إنّ توظيف الميثولوجيا الدينية التي اعتمدها الملوك الآشوريين لتبرير حملاتهم العسكريّة هي مكملّة للدوافع الأخرى، معتقدين أنّ أيّ عمل سياسي أو اقتصادي مُعادي للدولة الآشورية هو اعتداء على الآلهة التي تأمر برد هذا الاعتداء .
- ٣- سوقوا الملوك تصوّر ميثولوجي مفاده، أنّ الآلهة تمنح الملوك أسلحتها في رمزيّة للقوة الإلهيّة التي تحضر المعارك؛ لرفع معنويات الجند وعزيمتهم.

- ٤- نسبوا النصر إلى إلههم القومي آشور، ورفعوا من شأنه عند الأقوام الأخرى، وعمدوا على تغيير أسماء بعض المدن المهزومة، بأسماء جديدة يدخل في تركيبها اسم الإله آشور.
- ٥- تمثّل الحضور الإلهي في معارك الآشوريين، باستشارة الآلهة في العزم بالهجوم من عدمه، وتحديد جهته، ومعرفة نتيجة الهجوم مُقدماً، وتأتي هذه الاستشارة عن طريق الكاهن أو العراف الذي يُعدُّ فم الإله الناطق.
- ٦- ادعائهم أنّ الإله آشور هو مَنْ أمرهم بتوسيع حدود مناطق عبادته أي تمدد السيادة الإلهية من القومية إلى العالمية، الأمر الذي سيُشرعّن تمدد الدولة الآشورية أمام شعبها، خافين الدوافع الفعلية من وراء هذا التوسع.
- ٧- أظهروا أنّ الحروب الآشورية كانت حروب مُقدّسة بين الآلهة ينوب عنهم البشر، تجلّى في أسر آلهة الأعداء في المعارك، والإقرار بسيادة الآلهة الآشورية ولا سيّما إلههم القومي آشور عليها.
- ٨- أشرك الملوك الآشوريين آلهتهم بإعطاء جزء من الغنائم التي غنموها من أعدائهم في معاركهم إلى آلهتهم؛ اعترافاً بفضلهم في مدّهم بالعون.
- ٩- كانت من طقوس انتصارات الملوك الآشورية هي فرض السيادة على المهزوم، وذلك بإداء القسم بالآلهة الآشورية، اعترافاً بالسيادة الآشورية عليهم. وفي مخالفة القسم يُصار إلى شن الهجوم عليهم ثانيةً.

ملحق رقم (١)

قائمة بأسماء الملوك الآشوريين في العصر الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق. م. (١٢٩)

ت	اسم الملك	الاسم باللغة الآكدية	الاسم التوراتي	السنوات
١	أدد - نيراري الثاني	Adad - nerari II		٩١١ - ٨٩١ ق. م.
٢	توكلتي - نورتا الثاني	TukuLti - Ninurta II		٨٩٠ - ٨٨٤ ق. م.
٣	آشور - ناصر - ابل الثاني	Aššur - nasir - apli II	آشور ناصر بال الثاني	٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م.
٤	شلمان - أشريد الثالث	Šulmanu - ašared III	شلمنصر الثالث	٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م.
٥	شمشي ادد الخامس	Šamši-Adad V		٨٢٣ - ٨١١ ق. م.
٦	ادد نراري الثالث	Adad-nerari III		٨١٠ - ٧٨٣ ق. م.
٧	شلمان - أشريد الرابع	Šulmanu-ašared IV	شلمنصر الرابع	٧٨٢ - ٧٧٢ ق. م.
٨	آشور - دان الثالث	Aššur -dan III		٧٧١ - ٧٥٤ ق. م.
٩	آشور - نيراري الخامس	Aššur -nerari V		٧٥٣ - ٧٤٦ ق. م.
١٠	توكلتي - ابل - ايشر الثالث	Tukulti-apil-Esarra III	تجلاتيلزر - الثالث	٦٤٥ - ٧٢٧ ق. م.
١١	شلمان - أشريد الخامس	Šulmanu-asared V	شلمنصر الخامس	٧٢٦ - ٧٢٢ ق. م.
١٢	شرو - كين الثاني	Šarrukin II	سرجون الثاني	٧٢١ - ٧٠٥ ق. م.
١٣	سين - آخي - أريبا	Sin - ahhe - riba	سنحاريب	٧٠٤ - ٦٨١ ق. م.
١٤	آشور - أحي - ادينا	Aššur - aha - iddin	اسر حدون	٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م.
١٥	آشور - بان - ابل	Aššur - bani - apli	آشور بانيبال	٦٦٨ - ٦٢٧ ق. م.
١٦	آشور - اتيل - ايلاني	Aššur -etel-ilani		٦٢١ - ٦٢٧ ق. م.
١٧	سن - شوم - ليشر	Sin-šumu-lišir		٦٢٧ - ٦٢٦
١٨	سن - شار - اشكون	Sin-šarra -iškun		٦٢٦ - ٦١٢

(١) هاري ساكز، عظمة آشور، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، (سوريا- دار ومؤسسة رسلان- ٢٠٠٨) ص ٣٦٩.

(٢) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين (بغداد - ١٩٨٤) ص ٣٨١ .

والتوسع اكثر حول الموضوع ، ينظر: علي جبار عزيز الطائي، تأثير الحروب الخارجية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الاشورية الحديثة ٩١١ - ٦١٢ ق .م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية - جامعة واسط - ٢٠١١ .

(٣) إنَّ جميع تلك الظروف التي كانت محيطة بالاشوريين أملت عليهم إتباع هذه السياسة. ينظر :

Oded,B. War Peace Empir Justifications for War in Assyrian Royal Inscriptions
(Wiesbaden-1992) p 13 .

(٤) سعدون عبدالهادي برغش، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠-٥٣٩ ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة مجلس كلية الآداب-جامعة بغداد- ٢٠١٠، ص ١١٨؛ وينظر: هاري ساكز، عظمة آشور، ص ٣٧١.

(٥) أنطوان مورتيكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب: توفيق سليمان وآخرون (دمشق - ١٩٦٧) ص ص ٢٨٤-٢٨٥ .

(6) ARAB ,VOL-2, PP 299- 300.

(٧) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، دار الكتاب للطباعة والنشر(بغداد - ١٩٧٩) ص ٤٢٥ .

(٨) تجدر الإشارة إلى أنَّ الأسماء التي وردت في البحث ذكرت بالصيغتين الأولى استندت إلى ما ورد في المصادر المسمارية بصورتها الأصلية، والثانية على الأسماء التي وردت في المصادر التوراتية. ينظر: ملحق رقم (١) .

(9) Oded,B. War Peace Empir Justifications , p 9.

(١٠) حسن فاضل جواد، حكمة الكلدانيين، مراجعة: يوسف حبي (بغداد - ٢٠٠١) ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(١١) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(١٢) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(١٣) ثوركييلد جاكوبسن، أديان ما بين النهرين "إطلالة عامة"، ضمن كتاب (موسوعة تاريخ الأديان) ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، منشورات دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٤) ج ٢، ص ١٦٥ .

(١٤) هنري فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى، ترجمة، جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢ (بيروت - ١٩٨٠) ، ص ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٥) فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، ص ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٦) فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، ص ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(17) ARAB, Vol- 2, pp 70 – 71 .

(١٨) هنري فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة الإنسان، ص ١٧٢ .

(١٩) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، (بغداد - ١٩٩٢)، ص ٢١ .

- (٢٠) مهند عاشور شناوة القطبي، مجمع الآلهة في حضارة وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب - جامعة بغداد - ٢٠٠٠) ص ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
- (٢١) ثوركيلد جاكوبسن، أديان ما بين النهرين " إطلالة عامة "، ص ص ١٧٤ - ١٧٥ .
- (٢٢) جفري بارنذر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (القاهرة - ١٩٩٦) ص ٣٨ .
- (٢٣) مهند عاشور شناوة القطبي، مجمع الآلهة في حضارة وادي الرافدين، ص ص ٢١٣ - ٢١٤ .
- (٢٤) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم ، ص ٢٢ .
- (٢٥) طه باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ج ٢ (بغداد - ١٩٨٠)، ص ١٧ .
- (٢٦) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، (بغداد - ١٩٨٨) ص ص ٣٢ - ٣٣ .
- (٢٧) يوسف خلف عبد الله، الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م (بغداد - ١٩٧٧)، ص ١٣٩ .
- (٢٨) جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ص ٥٥ .
- (٢٩) جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ص ٥٥ .
- (30) RIMA , Vol - 2, p. 70 .
- (٣١) جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ص ٥٦ .
- (٣٢) أكييتو: يُعدُّ من الأعياد المهمة في بلاد الرافدين، واسم المكان المخصص لإقامة هذا العيد. وظهر هذا المصطلح في النصوص المسمارية منذ النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، واستمرت التسمية حتى العصر السلوقي، للتوسع أكثر، ينظر: راجحة خضير عباس النعيمي، الأعياد في حضارة بلاد الرافدين، صفحات للدراسات والنشر، (سوريا - ٢٠١١)، ص ٥٩ وما بعدها.
- (33) CAD, Vol- B , P189 .
- (٣٤) سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص ٣٢ .
- (35) Wiseman , D.J. An Esarhaddon Cylinder fromi Nimrud ,IRAQ , Vol- 16 (London - 1952), p, 55 .
- (36) CAD, Vol- B , P267 .
- (٣٧) فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز، ط ٢ (بغداد - ١٩٨٦) ص ص ٤٨ - ٤٩ .
- (38) ARAB, Vol- 2, pp 299 - 300 .
- (٣٩) عامر سليمان، الجيش والسلاح في العصر الآشوري ضمن موسوعة (الجيش والسلاح)، ج ١، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٣٨ .
- (٤٠) عامر سليمان، الجيش والسلاح في العصر الآشوري، ج ١، ص ٢٥٦ .
- (٤١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
- (42) RIMA , Vol-1.p.64.
- (43) RIMA , Vol-1 .p.136.
- (44) RIMA , Vol - 1, p. 16.
- (٤٥) نبيل نور الدين حسين الطائي، حملات آشور ناصر بال الثاني في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة الموصل - ٢٠٠١)، ص ص ٦٤ - ٦٧ .
- (46) RIMA , Vol -2.p.42.

(47) ARAB, , Vol- 2, P. 2.

(48) ARAB, Vol- 2, pp 226 -227 .

(49) D.D .Luckenbill , the Annals of....., PP. 41-46.

(٥٠) جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص ٢٥١ .

(٥١) عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، ص ٤٧٨ .

(٥٢) تجدر الإشارة الى أن تقديم المساعدة من قبل الآلهة إلى الملوك، قد ورد في الكتابات الملكية الحثية، إذ تسهم الآلهة في تقديم المساندة للملوك لتساعدهم في حروبهم والسير إلى جانبهم في حلهم وترحالهم لكن تلك الكتابات أقل مبالغة من الحوليات الآشورية، ينظر: سامي سعيد الأحمد، كتابة التاريخ عند الآشوريين في العصر السرجوني ٧٤٧-٦١٢ ق.م، (مجلة سومر) مج - ٢٥، ج ١-٢، (١٩٦٩) ص ٤٩ .

(53) ARAB , Vol-2 , p253;

فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر إلى التوراة ، ص ١١٢

-A .Amar, State archives of Assyria studies the God Ninurta in the Mythology and Royal Ideology of Ancient Mesopotamia, Vol.14, Helsiniki, 1995,PP.41-42.

(54) ARI, p. 128.

(٥٥) س. ج. تورنة، لوح تيوكليتي نينورتا الثاني، ترجمة صبحي الصواف، الحوليات الاثرية، ج ٢، دمشق ١٩٥٢، ص ١٨٣ .

(٥٦) كان لمشاركة الآلهة في الحرب قد ظهر لأول مرة ببلاد آشور في نقوش الملك شمشي ادد ، ثم بدأ يظهر وبشكل مستمر في النقوش اللاحقة للملوك الآشوريين .

Oded,B. War Peace Empir Justifications , p 9_See,

(٥٧) فاروق ناصر الراوي، التحديات التي واجهها الآشوريون ١٦٠٠ - ٦٠٠ ق. م ، ضمن كتاب (العراق في مواجهة التحديات) ، ج-١ (بغداد - ١٩٨٨) ، ص ٧٥ ؛ ARAB , Vol-2 , p 363 .

(٥٨) فاروق الراوي، التحديات، ص ص ١٤٢-١٤٣ .

(59) RIMA, Vol. 3, P.16 .

(60) RIMA, Vol. 3, P.9 .

(٦١) أحمد زيدان، الملك تجيلاتيليزر الثالث....، ص ٧٥ .

(٦٢) لمياء الكيلاني وسالم الألوسي، أول العرب...، ص ٤٨ .

(63) REMA, VOL2, P.218.

(64) REMA, VOL.3, P. 15.

(65) REMA, VOL.2,P.122.

(66) REMA, VOL.3, PP.30-31.

(67) REMA, VOL.3, P. 31.

(٦٨) مارغريت روتن ، تاريخ بابل، ص ٣٩ .

(٦٩) هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي (بغداد - ١٩٩٩)، ص ١٥٣ .

(٧٠) هاري ساكز، قوة آشور، ص ٣٥٠ .

(٧١) هاري ساكز، قوة آشور، ص ٣٥٠ .

- (٧٢) أحمد الفتلاوي، اسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م، ص ١٤٢.
- (٧٣) فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص ٥١.
- (٧٤) فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص ٥١.
- (٧٥) فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص ٥١.
- (٧٦) فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص ٥١-٥٢.
- (٧٧) عامر سليمان، الجيش والسلاح في العصر الآشوري، ج ١، ص ٢٥٦.
- (78) RIMA, Vol-1, p. 236.
- (79) IR, P. 32.
- (٨٠) عند وفاة والده شمسي أدد الخامس كان صغير السن فأصبحت والدته شمورا-مات (سميراميس عند اليونانيين) وصية عليه وعن شهورامات ينظر: الأحمد، سامي سعيد: سميراميس، بغداد-١٩٨٨.
- (81) RIMA, Vol-3, p.207.
- (82) ARAB, Vol - 2, P.210, SAA, Vol- 2, P. XVII.
- (83) ARAB, Vol-1, pp. 272 – 273 .
- (٨٤) هاري ساكز، قوة آشور، ص ٨١.
- (85) - A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC (To 1115 BC), London, 2002, P. 234.
- (٨٦) عامر سليمان، موجز التاريخ الحضاري، ص ١٠٢.
- (٨٧) وهو نهر الكرخا. ينظر: فاروق الراوي، التحديات التي واجهها الآشوريون ١٦٠٠-٦٠٠ ق.م، ص ٧٥.
- (٨٨) ساكز، عظمة آشور، ص ٣٦٩.
- (89) ARAB, Vol. 2, P.208.
- (٩٠) هو إقليم يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من الحدود العراقية الحالية وإلى الشمال من مقاطعة مصاصير التي تضم منطقة رواندوز وسيدكان حالياً.
- (91) RIMA, Vol-2, p.143-144.
- (٩٢) عامر سليمان، منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول ق. م العصر الآشوري الحديث، بحث ضمن: موسوعة الموصل الحضارية، مج ١ (الموصل - ١٩٩١)، ص ٨٨.
- (93) Grason, A. K. , ARI, vol. 2, p. 124
- (94) RIMA, Vol-1, p. 40.
- (٩٥) هو إقليم يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من الحدود العراقية الحالية وإلى الشمال من مقاطعة مصاصير التي تضم منطقة رواندوز وسيدكان حالياً.
- (96) RIMA, Vol-2, p.143-144.
- (٩٧) عامر سليمان، منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول ق. م العصر الآشوري الحديث، بحث ضمن: موسوعة الموصل الحضارية، مج ١ (الموصل - ١٩٩١)، ص ٨٨.
- (98) Grason, A. K. , ARI, vol. 2, p. 124
- (99) RIMA, Vol-1, p. 40.
- (100) Cogan, M. Imperialism and Religion . Assyria. Judah and Israel in the Eight and Seventh Centuries B. C., 1974, p 25 .
- (101) Thompson and other, CAH, VOL.3, P.208.
- (102) Wiseman, Chronicels of Chaldeam ..., P.53.
- (103) A.Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicels, London, New York, 2000, (ABC) , P.88.
- (104) G.G.Cameron , History of Early Iran, New York, 1968 , P. 90.
- (105) ANET , P. 451 .

(106) Frankfort , H. Kingship and the Gods , Chicago – 1958 , P. 300.

(107) ARAB, Vol- 2 , P. 18.

(١٠٨) تقع بلاد نائيري شمال بلاد آشور وتعرف باسم بلاد اورارتو واشتهرت نائيري بتربية الخيول التي التزمت بإرسالها إلى بلاد آشور.

(109) RIMA.Vol-2 .p.21- 22 .

(110) RIMA , Vol- .p.134.

(111) IR , P. 18-19.

(١١٢) نبيل نور الدين حسين الطائي، حملات آشور ناصر بال الثاني في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة ، ص ٦٤ – ٦٧ .

(١١٣) علي جبار عزيز الطائي، تأثير الحروب الخارجية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الآشورية الحديثة ٩١١ – ٦١٢ ق.م. ص ١٥٥ .

(١١٤) علي جبار عزيز، تأثير الحروب الخارجية، ٣٦٨ .

(١١٥) هذا التوثيق يخص كل الحوار الدائر بين الملك والإلهة عشتار، ينظر: فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، ص ص ٥١ – ٥٢ .

(116) ARAB , vol . 2 , PP. 299-300 .

(117) Saggs, H. Assyrian warfare in the Sargoni period ,IRAQ ,P 148 .

(١١٨) لقد كانت العرافة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات والعادات والتقاليد الاجتماعية؛ لأنّ الهدف الأساسي من العرافة يتمثل بعملية الاتصال بالقوى العليا (الآلهة) بمعرفة ما تقدره من خير أو شر سواء كان للفرد أو المجتمع، وقد قسمت العرافة على قسمين، الأول كان يعرف بالعرافة العملية، والثاني عرف بالعرافة السحرية، وكانت وسائل العرافة العملية وهي الأكثر شيوعاً يتمثل بضرب الأقداح و بسكب الزيت في الماء وتصاعد الدخان، أما العرافة السحرية فتعتمد على قوى وظواهر خفية لا دخل للإنسان فيها كالظواهر الكونية مثل العواصف والفيضانات والخسوف والكسوف أو المستمدة من حركة الحيوانات وكذلك الطرق المستمدة من كبد وأحشاء الحيوان. للتوسع أكثر عن العرافة وأنواعها. ينظر: فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر (الديانة) ، ضمن كتاب: حضارة العراق، ج ١ (بغداد – ١٩٨٥) ص ص ١٩٨ – ٢٠٠ .

(119) A. Kirk Grayson, Assyrian Rulers of the Third and Second Millennia BC (To 1115 BC),London, 2002, P. 234.

(120) ARAB ,Vol. 2, pp.45-46.

(121) Hawkins, J.D, “Assyrian and Hittites”, P.68.

(١٢٢) ساكز، قوة آشور، ص ٣٥٠.

(123) ARAB ,VOL-2,P.204.

(124) RIMA,Vol-2.p.107.

(١٢٥) ساكز، قوة آشور، ص ١٦٥.

(126) RIMA, Vol. 1. p.183.

(127) IR , P. 32.

(١٢٨) عامر سليمان، الجيش والسلاح...، ص ٢٢٨.

(١٢٩) ينظر: علي جبار عزيز الطائي، تأثير الحروب الخارجية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المملكة الآشورية الحديثة ٩١١ – ٦١٢ ق.م. ، ص ٢٥٢ .